رواية

الوعاء الخاوي

BLAMELESS VESSEL

آخر ما حلم به الراعي

باسم الخشن

ساحر الكتب

إهداء

إلى كل ملوك الخيال الذين فتحوا لنا طريقًا إلى الغد..

إلى أزيموف وسكالزي ونبيل فاروق.

تمهيد

٢٣ نوفمبر ٢٦٢٥

كان يومًا لا يُنسى

مبنى الإدارة المركزية يقف شامخًا في منتصف الميدان، وتحولت واجهته الشفافة إلى شاشة كبيرة كما جرت العادة. آنذاك كنت مع أبي وأمي ومئات ربما آلاف من البشر في انتظار أن ينتهي المدير التنفيذي من كلمته كي نرى الرسالة الأولى لسفينة الأجيال.

«يبلغ قطر الكون المرصود نحو تسعين مليار سنة ضوئية، هناك على الأقل مئة مليار مجرة في الكون المرصود، ولكل مجرة هناك من مئة مليار إلى ألف مليار نجم. هناك أكثر من تريليون كوكب يصلح للمعيشة؛ في نطاقنا المجري المباشر. أو ما نطلق عليه مجموعتنا المحلية ورغم هذا الاسم فإنه ليس في متناول أيدينا بالضبط.

بسبب ظاهرة توسع الكون. فحتى وإن كان لدينا سفن فضائية تنطلق بسرعة الضوء وهيئنا أجسادنا بشكل ما لتحمل تلك السرعة؛ فإن الأمر سيستغرق حرفيًّا مليارات السنين للوصول لتلك الأماكن والسفر عبر أكثر مناطق الكون فراغًا؛ لكن لحسن الحظ لو عدنا لمجرتنا درب التبانة والتي يوجد بها أربعة مليارات نجم وهو عدد من هائل من النجوم سنجد أن هناك نحو عشرين مليار نجم

شبيه بشمسنا ح، وخُمس تلك النجوم لديها كواكب مقاربة لحجم الأرض مؤهلة لوجود حياة. وتلك المنطقة التي تملك الظروف المناسبة لوجود الحياة تقع في مدار يطلق عليه «جولدي لاك» (ذات الضفائر الذهبية). في هذا المدار لا يكون الكوكب قريبًا للغاية من النجم فتتبخر كل المياه من عليه، ولا بعيدًا جدًّا فتتجمد الموجودات عليه.

في عام ٢٥٢٥ بنينا سفينة تتحمل السفر لألف عام، سفينة أجيال انطلقت بحثًا عن أقرب الكواكب الصالحة للحياة في المجرة.

نقدر تضحيات طاقمها الشجاع الذي يعرف أنه لن يرى الأرض مرة أخرى عارفين أن أحفاد أحفادهم من سيجنون ثمار التضحية حين يصلون لكوكب يصلح للحياة ويؤسسون أرضًا جديدة تزدهر عليها البشرية من جديد وتكون نقطة انطلاق لأعماق أبعد في الفضاء، في خطة لأن يستعمر البشر المجرة بكاملها خلال مليوني سنة.

رقم مرعب ومستقبل بعيد ولكننا أخذنا الخطوة الأولى لننقذ الجنس البشري واستمرار الحياة لكل من على الأرض أو ساكني الروافد».

لم يزعجني الوقوف اليوم فقد كنت أرتدي حذائي الجديد الذي ظللت أطالب به لثلاثة أشهر وكون أبي وأمي قد اجتمعا في إجازة معًا فذلك يزيد من حماسي لليوم

بعد أن أنهى الرئيس التنفيذي كلمته، بصوت عالٍ أسأل أمي: هل يعني ذلك أن «تيم» و»عمر» لن يحتاجا أن يعيشا على الروافد؟

يتدخل أبي مستفسرًا من أمي: «تيم» و»عمر» من؟

لتجيبه أمي: أصدقاؤها من شبكة الإنتجريشن. يعيشون في سفن روافد.

ثم قالت موجهة حديثها لي: للأسف لا، نحتاج إلى مئات السنوات، سيظل الملايين يسكنون في الروافد الضخمة التي تدور حول الأرض، الرسالة التي نستقبلها اليوم يا صغيرتي أُرسلت منذ أكثر من عامين. لم تصل السفينة بعد لوجهتها الأخيرة. تلك أول رسالة يخبروننا فيها باقترابهم من أطراف المجرة. تلك مجرد خطوة لبناء مستقبل، لكنه مستقبل لأحفادك، وربما أحفاد أحفادك.

همس أبي في أذن أمي من فوق رأسي ولكني كنت أسمعه: أليست تلك الكلمات مظلمة قليلًا لطفلة في الثانية عشرة من عمرها؟

قلت متأففة: ١٢ ونصف.

يأتي صوت الرئيس التنفيذي مرة أخرى ليطلب منا الاستعداد لرؤية الرسالة الأولى لسفينة الأجيال التي يشاركنا جميع أهل الأرض، وكل السفن المدارية -التي يطلق عليها الروافد- رؤيتها وسماعها في وقت واحد.

اقترب أبي وأمي من بعضهما وأنا في المنتصف، وعلى وجههما بسمة لن أنساها أبدًا.

العد التنازلي باللاتينية «ثلاثة.. اثنان.. واحد»... على واجهة الإدارة المركزية التي تحولت لشاشة عملاقة. ما ظهر كان آخر شيء يمكن أن نتوقعه. كانت فتاة في مثل عمري، تنظر إلى الشاشة، ويبدو أنها تحاول أن تقرأ شيئًا.

بعد لحظة من الاستغراب بدأت الجموع في الهمس والضحكات أن تلك الفتاة واحدة من الحفيدات الأولى على سفينة الأجيال. مرت ثوانٍ أخرى وهي تحاول أن تتمتم بشيء ما تجد صعوبة في قراءته قبل أن تتوجه عيناها للكاميرا مباشرة وتغرورق بالدموع لتأتي كلماتها في آذاننا جميعًا: يريدون أن يقتلونا كلنا.. ملائكة الموت قادمون من أجلكم. لم نستطع أن نخدعهم. يعرفون كل شيء.

ثم فجأة تتحرك عيناها من الكاميرا إلى شيء ما وراء الكاميرا وتنفجر في الصراخ: ماما.. ماما...

ثم صمتت.

ليمر خيال فضي أمام الكاميرا قبل أن ينقطع البث.

في ذلك اليوم الذي لن أنساه ولن ينساه أي بشري حصلت على حذاء جديد، وجاءتنا أول رسالة من عابرة المجرات، وعرفنا أننا لسنا وحدنا في ذلك الكون.

الفصل الأول

الخطة/ أ

نتشارك يوميًّا آلاف التفاصيل مع الأصدقاء والغرباء لكن حين سرقوا أحلامنا آثرنا الصمت. كم فقدنا من إنسانيتنا كيلا نصرخ فزعين حين تُنْتَزع الأحلام من رؤوسنا.

من مذكرات «بيجين الراعي»

٣٣٧٠ يناير

تعوي صافرات الإنذار في كل مكان «إنذار أحمر.. إنذار أحمر». دوى الصوت المعدني صارخًا بتلك الكلمات وسارينة تصاحبه في كل وحدات النوم بالسفينة الحربية «تيامات».

شعر «راعي» بالصافرات وكأنها مطارق تنهال على رأسه المنهك. ينتفض من فراشه في سرعة بعينين نصف مغلقتين.

يحتاج إلى لحظات لتعتاد عيناه الإضاءة المبهرة للغرفة التي كانت مظلمة منذ لحظات كقلب نجم ميت ليجد أنه وحيد. يحتاج إلى ثوانٍ لتعرفها؛ فما زال ما رآه في نومه من أطياف يقلقه.

هنا يتمالك أفكاره ويتذكر أنه في غرفة العزل بعيدًا عن

عنابر نوم زملائه بسبب أطياف المنام تلك.

يدس قدمه في حذائه شاكرًا حظه أنه كان منهكًا من وردية الأمس، فلم يغير زيه الرسمي حين دخل الغرفة.

لا ينتظر تحميل توجيهات الملاحة التي ستنبعث بعد لحظات من حذائه العسكري، بل يطلق ساقيه للريح مع اتجاه السير ناحية غرفة التسليح، مجهزًا شفرة سلاحه أمامه في الإنتجريشن، وبجانبها يقرأ التعليمات حول الموقف الحالي، وحدة قتال من الروافد تهاجم سفينة السجلات.

«على كل الأفراد المقاتلين التوجه للإنزال الفوري».

كان يشعر بالوقت يتباطأ مع نبضات قلبه التي تتسارع. لن يتمكن من التواصل مع قائده أو وحدته قبل أن يصل إلى سلاحه.

بعد دقيقتين مرتا كدهر وصل إلى غرفة الأسلحة، واندفع داخلها ليجد خزنته هي الخزنة الوحيدة التي لا تزال مغلقة.

في سرعة ينقر الرمز السري للخزنة وتغوص يداه بمجرد أن يقبل الرمز، وفي لحظات تصبح كفاه مغطاتين بطبقة إلكترونية خضراء؛ يسحب يسراه، ويشعر بالثقل المألوف يسقط في يده اليمنى، يسحبها لتخرج حاملة بندقيته ذات اللون النحاسي، ومع خروجها يبعث الإنتجريشن للحياة في أذنه وفي ركني حدقتي عينيه، صوت الاشتباك الحي وصورة حرارية مصغرة لمواقع تمركز أفراد كتيبته.

أول كلمات توجه إليه: «راعي».. إننا نفقد سفينة السجلات. لا يمكننا الوصول إليها. ستنزلك السفينة بجوار سفينة السجلات مباشرة. دعني أوضح لك ذلك مرة أخرى.. سيتم إنزالك وحيدًا خلف خطوط تمركز العدو، ومهمتك هي تدمير سفينة السجلات.

أكد استلامك.

دون لحظة من التردد جاء صوت «راعي»: تم الاستلـ..ام، متو..جه لنـ..قطة الإنـ...زال.

ولكن ما وصل لأسماعهم من الكلمات التي نطق بها الراعي جاء وكأنه مليء بالتردد والخوف. عض الراعي على جانب فمه وهو يتحرك ناحية المرفأ.

كان أغلب الموجودين في فرقته يعرفون المشكلة معاناته مع النطق؛ لكنه هذه المرة هو يتحدث على موجة عامة تسمعها كل الفرق المقاتلة في الأسطول، ستكون ذكرى سماعهم لاسمه للمرة الأولى هي «صوت متردد لمقاتل متأخر عن فرقته».

يصل إلى المرفأ وهو يحاول تصفيه ذهنه من كل تلك المخاوف ليصب تركيزه على مهمته. يجد اثنين من الفنيين يحيطان بمقاتلته من طراز «الآر إكس»، مهيئين إياها للانطلاق.

يلقي أحدهما إليه بالخوذة ليضعها على رأسه، ويتقدم مادًّا يده للفني الواقف في الكابينة ليساعده على الصعود، وما إن يصعد حتى يقفز الفني من الكابينة إلى جانب الطائرة وهو يقول: جهزناها بأربعة صواريخ نجمية، ستكون أكثر من كافية لتفجير سفينة السجلات، ولكنها ستنقص من سرعتك بشكل كبير. حاول أن تحتفظ بمناورات التخفي لأكبر وقت ممكن أو حتى تتخلص من الصواريخ الثلاثة الزائدة لتستعيد سرعتك الأصلية.

لم يكن الراعي قد قابل هذا الفني من قبل. فآثر أن يكمل ارتداء الخوذة وأن يشير له بإبهامه بعلامة التأكيد. عوضًا عن أي محاولة أخرى للحديث الآن. فالأدرينالين المتدفق في عروقه سيسوء من تأتأته. لم يكن الأمر يضايقه حقًّا؛ إنه هادئ، ولا يشعر بأي توتر. فقط لم يكن يشعر أبدًا بأكثر من الحماسة في التدريبات أو في مهامه الأولية، كانت تلك أفضلية وحده هو من يعلم بأمرها فما إن يُطلب منه الكلام حتى يفقد كل هذا الاتزان أمام رؤسائه، الذين يظنون ظلمًا أنه لا يحتمل الموقف؛ لذا فإنه دائمًا ما يتجنب التواصل والحديث قدر الاستطاعة.

تلتهمه المُقاتلة في كابينتها داخل ظلام لا يستمر أكثر من لحظات لتتحول الواجهة الكربونية أمامه إلى شاشة تُظهر كل ما حوله وكأنه في غرفة زجاجية؛ بفضل مئات الكاميرات الموجودة في جسد المقاتلة، وفوق كل تلك

الموجودات تظهر واجهة الإنتجريشن التي تنتقل كل بياناتها على الشاشات الكربونية من حوله.

تلتف القاعدة من تحت المقاتلة لتسلم جسد المقاتلة لسير الإطلاق في المعتاد تحتاج تلك العملية إلى عدة ساعات لإطلاق تشكيل المقاتلات، ولكن كل المقاتلات المتاحة كانت قد انطلقت واشتبكت بالفعل قبل خروج راعي من غرفة العزل.

تتزايد سرعة السير حتى تتحول الموجودات من حول راعي إلى ضباب، وفجأة يتوقف السير في نفس لحظة انفصاله عن المقاتلة كمقلاع ضخم تنطلق في قلب الفضاء الأسود.

تتلون الشاشة بنقاط حمراء وخضراء تميز مواقع الروافد ومقاتلات الأرضيين. متبعًا لأوامره يضع راعي على الشاشة نقطتي الاشتباك وتتواجد سفينة السجلات أمامه ثم يرسم خطين يلتقيان في نقطة أسفلهم صانعة شكل مثلث مقلوب وينطلق نحو الزاوية الأبعد في الفضاء التي تبدو كأنها أسفل الاشتباك.

بالطبع فإن «فوق وتحت» كلها نسبية في اشتباكات الفضاء. يرفع من سرعة الانطلاق مقدرًا أنه سيحتاج إلى ما يقارب ساعة أرضية ليصل للزاوية المرغوبة ومنها سينطلق لزاوية سفينة السجلات.

في تلك الأثناء كان يتابع على الرادار، ويلتقط دفقات

الإرسال التي تخبره بسير المعركة.

كان قد تبقى من قوة الروافد ما يقارب الثلاثين مقاتلة، وتصاحبهم مدمرة واحدة، بينما كان الأرضيون يملكون ضعف هذا العدد من المقاتلات ولكن يمكنه أن يرى أن سفينتي إنزال بالفعل على بعد أقل من نصف ساعة أرضية من سفينة السجلات.

وهدف الروافد الأساسي هو الاستيلاء على وحدات تخزين سفينة السجلات مهما كان عدد المقاتلات التي ستسقط لو لم يتمكن الراعي من تدمير السفينة؛ سيصير الفوز من نصيب الروافد اليوم.

يرى على الرادار أن تشكيلًا سداسيًّا من سفن الأرضيين قد هلك بقذيفة من مدمرة الروافد وبعدها بعشرين دقيقة استلم دفقات الإرسال الأخيرة من سفن الأرضيين. توجه الأوامر بأن يلتزموا بتشكيلات أوسع لا تسمح قذائف المدمرة بأن تقتنصهم كمجموعة.

حركة المدمرة غاية في البطء، ويجب على قائدها أن يحسب بدقة موقع إطلاق القذيفة التالية؛ حيث سيكون الهدف موجودًا بعد دقائق وربما ساعات من المسافات الأكثر بعدًا لذا فإن فاعليتها دائمًا ما تكون في اشتباك مع مدمرات أو حاملة مقاتلات أو سفينة مركزية وليس مع مقاتلات سريعة تحاوطها من كل جنب.

كان الروافد بمقاتلاتهم حريصين ألا يستطيع الأرضيون تكوين تشكيل مناسب يكفي لإطلاق نيران مركزة تخترق درع المدمرة، والتشكيل السداسي الذي كاد أن ينجح لم يضع في الحسبان أن قذيفة من المدمرة كانت تتوقع نقطة هجومه.

يتنهد راعي تنهيدة عالية، وهو يتفحص المعلومات الظاهرة عن حالة فرقته ثم يتمتم قائلًا: يا للبؤس.

بالنسبة لراعي فإن تحركات الضابط التنفيذي الذي يقود محاولة الدفاع عن سفينة السجلات تلك كانت مخزية وتثير الشفقة.

فكر راعي أنه -وهو أجدد من انضم لسفينة «تيامات» المركزية- لو كان يقود تلك المعركة لأدارها بشكل أنسب مئة مرة.

يتنهد مجددًا وهو يفكر: أو ربما أنا مجرد أحمق آخر يدعي الحكمة من المدرجات. ربما هناك استراتيجية أعمق لا يمكن رؤيتها، ولكن يا ويلاه أنا أعجز عن رؤية أي شيء يمكن أن يشبه حتى مناورة.

تُعَدل السفينة مسارها في حدة وقد وصلت لأبعد نقطة في المثلث المقلوب الذي رسمه، وتأكد أنه ليس على رادارات الروافد ليتجه مباشرة نحو سفينة السجلات.

سيظهر بعد قليل على راداراتهم، وبالتأكيد سيظهر على

رادارات سفن الإنزال التي قد وصلت بالفعل إلى هدفها وبدؤوا في الاستيلاء على الموقع، ولكن لن يكون لديهم وقت لإرسال مقاتلات من على جبهة الاشتباك أو إطلاق سفينة إنزال لتعترضه في نقطة لا يستطيع توجيه صواريخه لسفينة السجلات منها.

وعندها رآها.. تلك النقطة الحمراء اللعينة على الخط الوهمي الذي رسمه بين خط الاشتباك وسفينة السجلات. نقر عدة مرات على سطح شاشته آملًا أن تختفي تلك النقطة دون جدوى.

مد يده في تجويف جانبي ليخرج لوحة إلكترونية ليقوم عليها بالرسم وبعض الحسابات اليدوية السريعة التي تؤكد شيئًا واحدًا؛ تلك المقاتلة التي ظهرت على ما يبدو من العدم ستكون في انتظاره عند وصوله لهدفه.

«اللعنة.. اللعنة.. اللعنة.. من أين جاءت! بالتأكيد لم تخرج من النسيج المرمل؛ فالمقاتلات لا تملك القدرة على دخول النسيج».

يلقي باللوح مرة أخرى في التجويف مفكرًا «لا يهم من أين جاءت الآن، ستلتقط المقاتلة وجوده في أي لحظة الآن، وسيتمكن بسهولة من قطع مساره لسفينة السجلات».

- اللعنة...

يتبادر إلى ذهنه أن يطلق رسالة للسفينة المركزية، ربما

يستطيعون أن يتواصلوا مع مقاتلات الأرضيين المشتبكة ليقوموا بإرسال تشكيل يطارد تلك المقاتلة قبل أن يظهر على راداراتها.

«لا، هذا غباء محض، احتمالية أن تعترض الروافد إرساله كبيرة».

بعد أقل من عشر دقائق أرضية سيظهر على رادار المقاتلة وتنتهي مهمته الأولى بنجاح الروافد في الاستيلاء على كل المحادثات والملفات الأرضية التي تم إرسالها عبر الأثير في السنوات الخمس الأخيرة حيث تحفظ نسخة على سفن السجلات، وبالطبع ستنتهي أيضًا بأشلائه المتناثرة في الفضاء ولكن هذا أمر ثانوي.

ثم يفكر «ولكن مهلًا لم أنا متأكد أنني لم أستطِع أن أسقط تلك المقاتلة السبب واضح بالطبع فمقاتلة العدو تفوقه سرعة».

- ولماذا هذا يا راعي؟

لأن مقاتلتك تحمل أطنانًا من الصواريخ الثقيلة.

أربعة صواريخ.. همم أنا لا أحتاج إلى أربعة صواريخ لتدمير سفينة السجلات، صاروخ واحد هو كل ما أحتاج.

- هل تريد حقًّا أن تخاطر يا راعي؟

مثلًا قبل أن أفكر في المخاطرة أو لا..

يسحب راعي اللوح الإلكتروني مرة أخرى ليقوم بحساب الوزن والسرعة:

«لو تخلصنا من صاروخين ستستعيد مقاتلتي سرعتها الطبيعية، وبحسبة سريعة فإن سرعتي ستعطيني أقل من خمس دقائق وحدي مع جميلة الجميلات. يمكنني التخلص من صاروخ آخر ويبقى صاروخ وحيد وساعة كاملة أقضيها دون تدخل من الروافد.

لا.. مخاطرة غير منطقية لو أقلعت إحدى سفن الإسقاط واعترضت صاروخًا تنتهي المهمة، وأصبح أحمق أكبر من ضابطنا التنفيذي العزيز».

خاطرة أكثر حماقة تمر بذهنه يتجاهلها للحظات ويتأمل النقاط الملونة على شاشته ثم يعود للوحة ليقوم بحساب مخاطرة -بفرض أن ما خطر له من حماقة جائز التنفيذ- ويا للعجب فإنه ممكن التنفيذ.

فلديه شيء على المقاتلة أثقل من الصاروخ الثالث.. لديه الكثير والكثير من الوقود الثقيل. وما أهمية ذلك الوقود سوى أن يعيده إلى السفينة المركزية! حسنًا.. تلك نقطة مهمة بالفعل، ولكن بناءً على ما يراه على شاشته فإن مدمرة الروافد معطلة جزئيًا وهناك أقل من عشر مقاتلات متبقية على جبهة الاشتباك؛ إذن كل ما عليه فعله أن يصل إلى سفينة السجلات، يدمرها، بصاروخ واحد،

ويتبقى له صاروخ آخر هدية لمقاتلة الروافد الشاردة إذا ما قررت ملاحقته وبعدها ينتظر في صبر أن يبعث له الظابط التنفيذي بسيارة أجرة متمثلة في مقاتلة أرضية تجذبه إلى السفينة المركزية وهو يحل بعضًا من السودوكو.

«حسنًا.. فلنبدأ في تنفيذ خطة بعنوان «لا أنا لست أحمق/ أ»».

يفكر قليلًا ثم يدرك أن ما كتبه سيكون واضحًا على السجلات للقيادة فيمسحه ويعيد تسمية الخطة «الخطة لا أنا لست أحمق تمامًا/ أ».

ثم يفصل الصاروخين ويتخلص من خزانات الوقود الزائدة.

***

لم تكن «سيڤا» أصغر من يشغل منصبها التنفيذي في الشركات الأرضية الحاكمة، ولكنها دون شك كانت الأكثر تأثيرًا سياسيًّا ويلقى رأيها الكثير من التقدير من مختلف المديرين. فقط يتمنى كل من تمتع بصحبتها لأكثر من عشر دقائق لو كان لسانها أقل بذاءة.

معلومة لم يكن يعرفها «راندي ميتشوم» المدير التنفيذي للقطاع السابع حين وجه لها تساؤلًا بسيطًا في أثناء الاجتماع الطارئ حيث كان يحضر كل أعضاء مجلس الإدارة التنفيذي وبعض المديرين من الإدارات العليا.

كان «ميتشوم» هو من يتولى الحديث، وقد دعا لهذا الاجتماع الطارئ الذي استهله بالرسميات ثم بدأ في شرح معيار «كارداشف» قبل أن يوجه ابتسامة لزجة ناحية «سيڤا» ويمزح قائلًا: «يبدو أنك لست بشخص صباحي يا آنسة «سيڤا».

ويقهقه بعدها منتظرًا أن يشاركه الحاضرون في محاولة لإذابة الجليد.

لم يفهم لماذا لم يجارِه أحد في ضحكاته بل أخذوا يختلسون النظر في ترقب لـ»سيڤا» التي لم تخيب ظنهم لتنطلق قائلة: أنا أقدر يا سيد «ميتشوم» إن كنت تعاني من نقص اهتمام في طفولتك من والدتك حين انشغلت بخدمة زبائنها من الرجال، ولكنني لا أقدر حقًّا أن تجذبني من عملي أنا والسادة المحترمين الذين كانوا بالتأكيد يتظاهرون بالعمل الجاد أو يغازلون مساعداتهم أو مساعديهم للاستماع لدرس أطفال عن معيار الحضارة.

بعض السعال جاء من الجالسين الذين لم يحضروا اجتماعًا مع «سيڤا» من قبل، ونصف بسمة ساخرة ارتسمت على وجه المدير التنفيذي لمجمع الشركات الأرضية أخفاها سريعًا وهو يوجه كامل انتباهه لـ»ميتشوم» الذي مرت ألوان الطيف كلها على وجهه فاغر الفاه وهو يبحث في وجه الجالسين عمن ينقذه ولكن هزة رأس من أقرب الجالسين له جعلته يعدل عن محاولة الاشتباك مع «سيڤا» كلاميًّا.

تظاهر بالسعال وأن ما قيل لم يتم توجيه أي إهانة له فيها ثم قال: أ.. أ.. كأي اجتماع هام وطارئ مثل هذا يجب أن نحدد ونقر في محضر الجلسة على الحد الأدنى من المعرفة العلمية بخصوص الموضوع.

في ملل يأتي صوت الوحش الذي أيقظه «ميتشوم» في هيئة «سيڤا»: لو واحد من أولئك الجالسين ليس على دراية بمعيار «كارداشف» فسيتعين علينا إعادة النظر في سياسة الترقيات.

هنا قاطعها الرئيس التنفيذي وهو الشخص الوحيد الذي يعلم أن «سيڤا» لن تجرؤ على إهانته: «سيڤا»، دعيه ينهي الرسميات، أحتاج إلى أن أكون في مكان آخر بعد أقل من عشرين دقيقة.

كادت «سيڤا» أن تنطق بشيء آخر، ولكنها هزت رأسها في احترام، ووجهت نظرة توعد لـ«ميتشوم» الذي فقد كل ثباته بعد أن كان مختالًا كالطاووس في بداية الاجتماع وهو يقول بصوت لم يستطِع أن يخفي الرعشة فيه جراء ما تعرض له من إهانة: معيار «كارداشف» هو مقياس للحضارة والتقدم التكنولوچي، النوع الأول ينتمي له أي جنس أو كائنات تستطيع أن تتحكم بشكل تام في طاقة الكوكب الذي تحيا عليه، النوع الثاني: هو الحضارة التي تستطيع أن تتحكم في طاقة نجم النظام -كالشمس في

حالتنا- ويستطيعون تحويل تلك الطاقة للسفر في الفضاء على الأقل داخل النظام. النوع الثالث: الحضارة التي تستطيع حصد والتحكم في الطاقة الموجودة في مجرته كاملة، النوع الرابع: الحضارة التي تستطيع التحكم في طاقة الكون ذاته حيث يمكنها التلاعب بالزمن والفضاء وهو أقرب شيء لتصورنا عن الآلهة.

في أغلب تاريخ البشر كان موقعنا على المعيار قبل النوع الأول بقليل حتى القرن الماضي انتقل البشر بفضل اكتشاف النسيج المرمل الذي سمح لنا بالتنقل عبر مجرتنا لأماكن أبعد من التكتل المحلي لم نكن نحلم بالوصول إليها، ليجعلنا على هذا المعيار ما بين النوع الأول والثاني.

يلاحظ «ميتشوم» أن «سيڤا» تقلب عينيها في ملل وتوشك على الانفجار فيه مرة أخرى، وأن المدير التنفيذي يشاركها لغة الجسد.

فيسترسل مسرعًا محاولًا أن يلقي قنبلته سريعًا قبل أن يفقد جمهوره: أريد أن أعلن اليوم أننا في القطاع السابع وللتو قد التقينا بحضارة من النوع الثالث.

لتتحول الغرفة بعد ثوانٍ من الصمت القاتل لسيرك من الجنون.

***

حين قام الأرضيون بتصميم سفن السجلات وخصوصًا في

القطاعات الأبعد الجديدة؛ حرص المهندسون على صناعة نقاط ضعف معروفة لمقاتلي الأسطول يتمكنون بها من تدمير تلك السفن بأسرع وقت ممكن، لذا فثقة راعي أنه سيتمكن من تدمير السفينة بصاروخ واحد كانت كبيرة.

في أبعد نقطة ممكنة تسمح له بإطلاق الصاروخ، تمركز وتأكد من خلو مسار الصاروخ من أي نيازك فهو أمر مستحيل حدوثه إذ إن سفن السجلات دائمًا ما يُختار بقع لها بعيدًا عن أي من النيازك؛ ولكن لا ضير أن يفعل كل شيء كما تقتضي القواعد...

ثم أطلق الصاروخ. اثنتا عشرة دقيقة أرضية يحتاج إليها الصاروخ ليصل إلى هدفه. كانت دفقات إرسال الروافد قد بدأت في الوصول له، لا يستطيع فك شفرتها، ولكن يمكنه المراهنة أنها تتحدث عن اكتشافهم لمقاتلة تسللت من خلف خط الاشتباك تحاول أن تدمر سفينة السجلات ويمكنه أن يرى بوضوح على الرادار مقاتلة العدو الوحيدة تُعدّل مسارها وتتجه إليه.

بعض الحسابات السريعة تخبره أن المقاتلة ستكون قادرة على الاشتباك معه لو حافظت على نفس سرعتها خلال تسع وعشرين دقيقة أرضية.

يبدأ راعي في التخطيط لمناورته مع المقاتلة الوحيدة وأنه لن يحاول العبث معها بأسلحته الخفيفة، ولكن سيطلق

الصاروخ الثاني على الفور.

إشارة على رداره أن الصاروخ الأول قد انفجر، يقطب حاجبيه مستغربًا؛ فقد انفجر الصاروخ لدقيقة كاملة أبكر مما يوجد في حساباته.

يحدق في الرادار متأملًا سفينة السجلات، ومحاولًا أن يرى أثر تدمير السفينة التي بالطبع سترسل موجات ستصل بعد أقل من ثلاث دقائق.

لا ينتظر مرور الدقائق الثلاث ليتأكد أن هناك خطأ حدث؛ يحول كاميرات السفينة إلى المسح الطيفي. سفينة السجلات كما هي لن تتأثر، ويرى الآن ما لم يستطع الرادار التقاطه... طائرات بدون طيار (درون) متخفية.

- الأوغاد.. أبناء العاهرات.. مبطوطي العظام.

كان من اللطيف أن التأتأة تختفي تمامًا في حديث راعي حين يشرع في السباب، والغناء أيضًا؛ بل إن جزءًا كبيرًا من دراسته كان مدرب النطق الخاص به يساعده بتدريبات الغناء التي تشعره بالراحة إذ تجري الكلمات على لسانه دون حاجز كذلك في السباب الذي استمر لدقيقة كاملة قبل أن يحاول أن يتمالك أعصابه مفكرًا: حسنًا لا داعي للذعر الآن؛ تلك المقاتلات الصغيرة يمكنها اعتراض صاروخ ولكن لو أطلقت صاروخين متتاليين لن يتمكنوا من اعتراضهم يا لسخرية القدر، كان لدي بالفعل أربعة

صواريخ؛ صاروخ لأدرك وجود الدرونز، صاروخان متتاليان لتدمير السفينة، وصاروخ للمقاتلة القادمة لتحيتي، ووقود يكفي للمناورات.

يأخذ نفسًا عميقًا ثم يكمل فكرته: اهدأ يا راعي؛ فالعدو حيث أردته تمامًا. يقف خلفك وأنت دون بنطال. فليكن.. لا توجد فرصة لاستعادة بنطالي؛ لن أبلل ملابسي الداخلية مفكرًا فيما سيحدث بعد تدمير سفينة السجلات. الهدف الوحيد هو أن أدمر سفينة السجلات. يضبط راعي مسار السفينة نحو سفينة السجلات مباشرة وينطلق.

***

في مفارقة يطلق عليها مفارقة «فيرمي» لخلو الكون المرصود من حولنا من الكائنات الفضائية توجد الفلاتر العظمى للحياة.

والفلتر هنا يمثل حاجزًا من الصعب على الحياة أن تتغلب عليه. كل تلك الفلاتر مرعبة؛ هناك فلاتر تجاوزناها بالفعل بتطورنا كبشر ووصولنا إلى تلك الدرجة من التكنولوجيا.

يضع فيرمي احتمالين: إننا الأوائل ولم تسبقنا حياة في هذا الكون أو على الأقل في الكون المرئي لنا.

والاحتمال الثاني أن هناك من سبقنا بالفعل. ولكن هناك فلتر كبير نهائي تُدمر عنده الحضارة، ربما هذا الفلتر تكنولوجيا رائعة تنهي كل مشاكلنا نظريًا ولكن حين تفعيلها تنتهي الحضارة بأسرها.

أو ربما هناك حضارة قديمة من النوع الثالث تراقب الكون وبمجرد أن تصبح أي حضارة متقدمة بما فيه الكفاية يتم القضاء عليهم فورًا، أو سبب آخر لا نعرفه. إذن فلو صحت تلك المفارقة فنحن إما كنا أول من يعبر تلك الفلاتر، وأمامنا مستقبل مشرق، أو أننا اقتربنا بشدة من الفلتر الأخير وفي انتظار النهاية.

من مذكرات «بيجين الراعي»

اختلفت غرفة اجتماعات التنفيذية العليا عن غرفة الاجتماعات العامة الرئاسية التي كانت «سيقا» بها منذ ساعات كونها أكبر حجمًا وتحوي على أكثر من مجرد مائدة تداول ومساحات عرض؛ فبالغرفة كان يوجد أحدث طراز من خوادم الحاسبات غير متصلة بأي شبكة خارجية هدفها الوحيد تحميل كل الإجراءات واللقاءات التي تتم داخل جدران هذه الغرفة منذ أن بُنيت.

وتنقسم الغرفة إلى عدة أقسام تفصلها عن بعضها حواجز

زجاجية متحركة. يجلس طاقم مساعدي «سيڤا» خلف واحد من تلك الحواجز الزجاجية في آخر الغرفة مع ثلاثة أفراد من الحراسات الخاصة، الذين لا يفارقون تلك الغرفة إلا في أثناء إخراج البيانات من الخوادم؛ ليصاحبوها للعرض على مجالس الدولة إن دعت الحاجة، أو لإعدامها.

وخلف الحاجز الزجاجي المعتم تجلس «سيڤا» على طاولة المداولات وأمامها هولوجرام الرئيس التنفيذي وهولوجرام المستشار العلمي، والمستشار العسكري الذي كان ينهي تقريره بكلمة نهائية.

- فبشكلٍ مبدئي واستنادًا إلى تلك التقارير الأولية من القطاع السابع فالوضع غير مبشر.

يقول الرئيس التنفيذي بعصبية: أنتظر خلال كل هذا الهراء التقريري كي أسمع كلمات منك واضحة لتحديد موقفنا.. كلمات مثل.. (ثم يحرك أصبعيه في الهواء وهو يقول) «غير مُبشر» هو مزيد من الهراء الذي سنحتاج إليه حين نُبلغ الحكومات المحلية والمواطنين. أحتاج إلى كلمات حقيقية أفهم منها موقفنا الآن.

تتنحنح «سيڤا» استئذانًا للحديث ليشير لها الرئيس التنفيذي بيده.

- سيدي الرئيس، ما يحاول المستشار إبلاغك به أن كائنات خضراء صغيرة ستنكحنا قريبًا.

تظهر نظرة اشمئزاز على وجه المستشار العلمي وهو يتمتم: ماذا دهاك يا فتاة!

زفير طويل من المستشار العسكري قبل أن يسأل الرئيس التنفيذي موجهًا سؤاله للمستشار العسكري: هل تأكدنا مما تقوله «سيڤا»؟

ينظر المستشار العسكري إلى «سيڤا» ممتعضًا ثم يقول رافعًا يديه في الهواء: نعم، سنُنكَح قريبًا، على الأقل في القطاع السابع.

يقول الرئيس: في الحقيقة كنت أسأل إن كنا تأكدنا من كونهم رجالًا خُضرًا صغار.

نظر المستشار العسكري للمستشار العلمي في تساؤل الذي قال بعصبية: جاءتك التقارير نفسها، لا ذكر عن أشكالهم، كل ما رأيناه هو المركبات. يا إلهي أتمنى أن تكون تلك مجرد مركبات وليست الكائنات ذاتها.

حينما يرى نظرات التساؤل في أعين الحاضرين يشيح بيده قائلًا: هناك بعض النظريات أنهم عمالقة يجوبون الفضاء، وأن تلك ليست مركبات بل الكائنات الفضائية نفسها.

لم يعلق أحد على كلماته لعدة ثوانٍ فأكمل: لا لا لا أعتقد أن تلك نظرية حقيقية، لعدة أسباب أفضل ألا نتحدث فيها الآن.

يهز الرئيس كتفيه ويعاود توجيه الحديث إلى المستشار العسكري: حسنًا فسر لي لقد ضخخنا الكثير من أموال المستثمرين في تدعيم دفاعات القطاع السابع؛ وكنا بالفعل نتوقع أكثر من هجوم من الروافد، اللعنة.. لقد حرصنا أن نضع ما يسيل لعاب الروافد ليأتوا إلينا للقطاع السابع؛ والآن تخبرني أن القطاع بكامل تسليحه لن يستطيع حتى أن يؤخر تقدم أولئك الفضائيين؟

كل النظرات توجهت بالطبع إلى المستشار العسكري الذي بدا وكأنه يتأمل شيئًا في غاية الأهمية خارج إطار الهولوجرام. ولكن قبل أن يرد قاطعه الرئيس قائلًا: ودعني أنا أكون من سيسأل ذلك السؤال الغبي؛ ألا يمكن أن تكون تلك السفن الجديدة سفنًا صممها الروافد يحاولون خداعنا بها؟

هنا تحدثت «سيڤا» قائلة: سيادة الرئيس، المشكلة ليست في شكل السفن، أو أسلحتها، أو طريقة هجومها على سفننا وسفن الروافد، الأمر المرعب هو الطريقة التي وصلت بها تلك السفن إلى القطاع السابع.

يتوجه بكامل جسده الهولوجرامي تجاه «سيڤا»: أرجوكِ اشرحي لي إذن كيف ظهرت وبالتفصيل الممل.

***

كان راعي يحاول ببساطة أن يرى الجانب المشرق من

أزمته الحالية.

«دعنا نفعلها كالمحترفين، ما الجيد وما السيئ.. في الجانب الجيد اتخذت روح المبادرة ونفذت خطة لم تستشر فيها رؤساءك».

لحظة أعتقد أني لم أقدم استشارة لرؤسائي يجب أن توضع في جانب الأمور السيئة

ولكن في الجانب الجيد فقد نجحت، لقد أسقطت سفينة السجلات بصاروخي الأخير. النتائج هي ما يهم، صحيح أنه قد واجهتني المعوقات، احتجت إلى أن أقترب من السفينة لمسافة غير آمنة لأتجنب أن تعترض الدرونات صاروخي، لكني أطلقته، الانفجارات تبتلع السفينة، وأنا ابتعدت بمسافة شبه كافية فكل الشظايا والخسائر في جسد المقاتلة هي أفضل نتيجة ممكنة بعد انفجار بهذا الحجم.

بالطبع المقاتلة في حالة يرثى لها، ولكن حقًّا تلك أفضل نتيجة ممكنة. يقلقني أمر المقاتلة التي على بُعد ثلاث دقائق مني. لحسن الحظ يمكنني أن أراها على الرادار. إذن فإن رحلتي ستنتهي هُنا اليوم. اللعنة يا راعي أول مهامك ستصير آخرها.

أطلق راعي زفرة طويلة وعيناه معلقتان على الرادار مفكرًا فيما ستكون آخر كلماته، ربما سيكون سبابًا يوجهه للمقاتلة التي ستأتي بنهايته، أو كلمات ملهمة تُسجل على الصندوق

الأسود يسمعها مَن بعده من أجيال، وللحظة شعر بغصة في قلبه خوفًا من ألا يستطيع أن يُكمل سبابه أو كلماته الملهمة بسبب تأتأته؛ فابتسم وقال: سـ سـ سـ أغني.. إذن.

أعجبته تلك الفكرة الدرامية وقرر أن يفتح البث العام، ليسمع غناءه كل من يلتقط الإرسال في تلك اللحظات الأخيرة.

قبل أن يفتح فمه اكتشف أنه فتح الاستقبال والإرسال معًا؛ وانهالت في أركان كابينة القيادة أصوات دفقات الإرسال القادمة من كل صوب بعضها كانت صراخًا بأوامر وآخر يتحدث عن انفجار سفينة السجلات، وقبل أن يمد يده للوحة التحكم مغلقًا الاستقبال نال من سمعه إشارة من السفينة المركزية للأسطول تتحدث عن ثقب ما ثم عدة إشارات مماثلة من على جبهة الاشتباك قبل أن يلاحظ على الرادار أن الاشتباكات قد خفت وطأتها منذ دقائق ولكنه ظن أن ذلك بسبب تفجيره لسفينة الأسطول واستعداد الروافد للهرب ولكن نظرة على المقاتلة القادمة من أجله وجد أنها تعود إلى أدراجها بسرعة كبيرة.

يشعر بشعور غريب شعره مرة واحدة من قبل حين كان في معسكر التدريب وفي نهاية التمرين وجد زملاءه يجلسون أرضًا ولكنه فضل أن يجلس على واحد من الكراسي الخشبية التي تركها الجميع خالية ليكتشف لحظتها أنهم قد دهنوها حديثًا ولم تجف بعد.

«نعم هناك طلاء على مؤخرتي الآن ولكنني لم أره بعد».

ومع آخر حرف من كلماته شعر بالمقاتلة تتسارع في الاتجاه المعاكس، وكل الإشارات على شاشته أصيبت بالجنون.

دفقة الإرسال التالية المتأخرة عن الحدث كانت كُلها تساؤلات من مقاتلين وقائدي فرق يتساءلون عما يحدث وما الذي يرونه أمامهم.

أول إجابة جاءت في دفقة بث تالية كانت على لسان قائد وحدته صائحًا: انطلقوا في تشكيلات الانسحاب.. الآن...

للمرة الأولى منذ عدة سنوات يشعر راعي بهذا القدر من الخوف، ليس منذ كان طفلًا صغيرًا يخشى الظلام... يشعر بالخوف البدائي من هذا الشيء الذي ينسحب من أمامه كل من الأسطول الأرضي والروافد، وسيواجهه هو وحيدًا على ما يبدو.

كل ما كان يتمناه في تلك اللحظة لو يستطيع على الأقل أن يرى ما الذي يقع خلفه، وابتسم له الحظ على هيئة كتلة كبيرة من سفينة السجلات تجذبها نفس القوة المجهولة تتسارع لترتطم بمقدمة المقاتلة قالبة إياها وحينها يرى راعي ما هو مقبل عليه.. المعنى الحقيقي للظلام.

كان في مواجهة راعي النهاية بأقسى معانيها؛ فأمامه كان

هناك ثقب أسود.

***

الفصل الثاني

ثقب أسود

- الثقوب السوداء لا تظهر في الفضاء بطريقة سحرية.

قالها الرئيس التنفيذي مقاطعًا سرد المستشار العسكري لتقرير ما حدث في القطاع السابع قبل أن يجد المستشار العسكري فرصة للرد جاء تفسير المستشار العلمي قائلًا:

- بالطبع يا سيدي الرئيس، ولكن ما ظنه ثقبًا أسود في أول ظهوره، لم يكن كذلك.

ثم يضيف في حماسة: إذا رغبت يمكنني الآن أن أبدأ في شرح طبيعة ما حدث بالضبط.

لاإراديًا جزت «سيقا» على أسنانها مهابة المحاضرة العلمية القادمة ممن تعتبره في وجهة نظرها أكثر الأشخاص إملالًا على وجه البسيطة، ولكن لحسن الحظ أشار الرئيس بيده للمستشار العسكري قائلًا: لا، أود أن نكمل تتابع الأحداث كما دارت في القطاع السابع ثم نستمع بعدها لكل التفسيرات العلمية.

هم المستشار العسكري بالحديث ولكن أوقفته إشارة أخرى من يد الرئيس وهو يقول: فليحصل كل منا أولًا على خمس دقائق، أحتاج إلى أن أرد على استفسارات عاجلة لتهدئة المستثمرين حتى يتم تحضير البيان.

ودون انتظار رد يختفي هولوجرام الرئيس التنفيذي ليتمتم المستشار العلمي بصوت مسموع: كيف سيرد على أي استفسارات وهو لا يعرف ما الذي حدث بعد.

نظرة جانبية نارية من «سيڤا» جعلته يبتلع لسانه قبل أن تسحب مقعدها وتقوم لتخرج من الغرفة لتلاقيها مساعدتها خارج باب الغرفة قائلة:

- أكثر من مئة محاولة اتصال في الساعة الأخيرة، يحتاجون إلى الوصول إليك.

تناولت منها «سيڤا» شريحة الاتصال، المرئي لتلحقها بحذائها وهي تسأل: وأي من تلك الاتصالات ذات أهمية؟

سألتها «سيڤا» وهي في الأغلب تعرف أن الإجابة لا؛ حيث الاتصال الوحيد الذي تعتبره هامًّا سيكون قادمًا من الرئيس التنفيذي الذي كانت مجتمعة معه بالفعل.

- أعتقد أختك مسؤولة عن خمسين اتصالًا على الأقل.

تفكر «سيڤا»: ربما كنت مخطئة، وهناك اتصالات أهم من الرئيس التنفيذي إذن!

على الفور تباشر «سيڤا» بالاتصال برقم أختها ليظهر في مجال رؤيتها من خلال الإنتجريشن صورة طفلة صغيرة تبتسم في جذل وهي تحييها قائلة: عاهرة رخيصة... عاهرة رخيصة... عاهرة رخيصة...

وتقهقه في سعادة ليظهر فجأة على الشاشة وجه أختها الكبيرة الغاضب جدًّا وهي تقول: اشرح لي أين يمكن أن تكون طفلتي البريئة قد استمعت إلى تلك الكلمات السافلة؟

تشعر «سيڤا» بنبضات قلبها قد وصلت إلى حلقها وهي ملكة وجه البوكر في العادة، ولكن ابتسامة تهرب واجدة طريقها إلى شفتيها وهي تقول: عليك أن تراقبي تواجد طفلتك على الإنتجريشن، لا نعرف أي مرضى يمكن أن يستخدموا مثل هذا الكلام أمام الأطفال الأبرياء.

تصرخ أختها: ليا لا تدخل الإنتجريشن دون وجودي أو وجود أبيها أيتها اللعينة.

تتعالى قهقهات ليا في الخلفية وهي تقول: «سيبا».. لعينة...

ضحكة تهرب من «سيڤا» مرة أخرى وهي تقول: عليكِ أن تنتبهي إلى ألفاظك أمام الأطفال إنهم يلتقطون كل شيء.

- «سيڤا» حقًّا سأقتلك!

- ربما عليك تأجيل هذا التهديد حتى أخبرك أنني لن أتمكن من المجيء للبيات عندك اليوم.

- لا.. لا.. لا.. أقسم إن هذا لن يحدث، ليس بعد أن خربت طابعة الطعام في محاولة طباعة الوصفات البدائية

التي تحبينها.

تتذكر «سيڤا» مع ذكر الطعام أنها لم تتناول أي شيء منذ منتصف ليلة أمس على الأقل، وتزأر معدتها تأكيدًا على المعلومة.

- صدقيني أنا في اجتماع مغلق مع الرئيس التنفيذي، لا شيء بيدي.

- هه.

- هه ماذا؟

- إذن بعض الإشاعات عن القطاعات البعيدة حقيقي.

- أي إشاعات؟

- امم هناك عدة إشاعات...

- أطربي مسامعي ببعض منها.

تهمس «سيڤا» لمساعدتها: أطلعيني على كل ما يقال على الإنتجريشن العام بخصوص القطاعات البعيدة.

- حسنًا، هناك من يقول إن الروافد قد احتلوا تلك القطاعات بالفعل، وأن هناك ضغطًا من المستثمرين أن يتخلى الرئيس التنفيذي عن منصبه بسبب هذا.

تقول «سيڤا» ببساطة: المستثمرون دائمًا ما يطالبون الرئيس التنفيذي بالتخلي عن مقعده.

تقول أختها وهي تضحك: تقول إشاعة أكثر جنونًا إننا التقينا بفضائيين في واحد من تلك القطاعات.

شعرت «سيڤا» بتلقي لطمة على وجهها وهي تقول: أبناء العاهرات!

ليأتي بعدها بلحظة صوت ليا: أبناء العاهرات.. أبناء العاهرات «سيبا».

تصرخ أختها في ليا: لياا!!.. تلك كلمات سيئة لا تكرريها.

وقبل أن تلتفت لـ«سيڤا» كانت «سيڤا» تودعها قائلة: أحتاج إلى الذهاب الآن، أعتذر عن عدم مقدرتي على المجيء الليلة.

وهي تلتفت إلى مساعدتها التي ناولتها لوحًا إلكترونيًّا به الكلمات الأكثر بحثًا في الساعات الأخيرة على الإنتجريشن لتطلق «سيڤا» عبارات أخرى من السباب وهي تحاول نزع شريحة الاتصال من حذائها لتعود إلى الغرفة في عصبية، وحين تفشل في فعل ذلك تنزع حذاءها لتلقيه بعيدًا وتدخل الغرفة المعزولة حافية وهي تصرخ: هل أرسلنا رجالًا ونساءً محاربين للقطاع السابع أم مجموعة من الفتيات الثرثارات؟

ينظر لها المستشار العسكري فاغر الفاه لعدة ثوانٍ لتدس في يده اللوح الإلكتروني وهي تقول: تلك معلومات لم تصل إلى الرئيس التنفيذي بعد، ولكنها وصلت إلى ربات البيوت على الإنتجريشن!.. اللعنة أحد استوديوهات

الإنتاج أعلن أنهم يصنعون فيلمًا عن هذا اللقاء بين البشر والكائنات الفضائية ليعرض الأسبوع القادم.

يستجمع المستشار العسكري كلماته وإن كان ظهر على وجهه بالفعل آيات الغضب: «سيڤا» أنت تفهمين أن معلومة كتلك يستحيل أن نتكتم عليها مئة بالمئة.

- وأنا لم أطلب مئة في المئة ولا خمسين في المئة، أطالب على الأقل أن يعرف رئيسنا اللعين الأمر قبل أختي وابنتها، هل ذلك أمر صعب؟

يجيء صوت من خلفها وقد ظهر هولوجرام الرئيس التنفيذي وهو يقول صارخًا: على الأقل يجب أن يعرف الرئيس اللعين قبل المستثمرين الذين يلتهمونني حيًّا.. أكمل التقرير.

***

نقطة بيضاء في نهاية النفق المظلم..

نقطة بيضاء في قلب الثقب الأكثر إظلامًا من أي شيء رآه راعي يومًا.

لم يعرف راعي بالضبط إن كانت تلك النقطة تتسع أم تبدو أكبر لأنه يقترب بسرعة لم يختبرها بشر وعاش ليحكي عن تجربته، ولكن النقطة موجودة.. دائرة الآن وليست مجرد نقطة.

تتسع وتتسع وتملأ مجال رؤيته، وهو عاجز عن فعل أي شيء؛ فلا توجد قوة في الكون لديها جاذبية أقوى من ثقب أسود.

وهنا رآهم..

تلك النقاط الأشبه ببعوض صغير في قلب الدائرة البيضاء التي ملأت مجال رؤيته الآن.

كان ذلك البعوض يقترب.. ويقترب.. ويكبر.

ثم انقلب كل شيء رأسًا على عقب... لفظ المجال الأبيض من أمامه تلك الأشكال، وانقلبت الجاذبية لقوة طرد تدفعه بعيدًا عن مركز الضوء الذي غمره الآن كنجم قزم.

فاقدٌ للتحكم في بقايا مقاتلته تمامًا في هذا الطوفان الكوني من الشد والجذب بينما هو كنملة حائرة لا حول له ولا قوة.

رأى أول السفن من خلف الحطام المتناثر لسفينة السجلات التي كانت في طريقها لتحيي جسد مقاتلة راعي مرة أخرى.

تلك سفينة أرضية مئة بالمئة ولو توقفت مقاتلته عن الدوران لأقل من دقيقة؛ لكان متأكدًا أنه سيتعرف على تلك السفينة.

طراز قديم وضخم.. أضخم من سفن الأسطول التي تدرب

على...

إنها سفينة الأجيال..!

«إنها تشبه تمامًا سفينة الأجيال التي أرسلناها منطلقة من الأرض منذ أكثر من سبعة قرون من الزمان».

تتلاحق الأفكار في رأس راعي: لا.. تلك هي، تلك هي السفينة اللعينة التي فقدنا أثرها.

قبل أن يتباطأ دوران مقاتلته بفعل صدمات متتالية من بقايا سفينة السجلات هنا رأى بقايا ما لفظه الكيان الأبيض؛ مثلثات داكنة في أحجام غير معقولة، تفاوتت أحجام تلك المثلثات ولكن أصغرها كان ثلاثة أضعاف حجم سفينة الأجيال التي تقود هذا الأسطول القادم من خلف الثقب الأسود.

كان كل شيء يحدث في سرعة شديدة، وبطء شديد في الوقت نفسه.

كل شيء يتحرك في سرعات رهيبة لم يصادفها أحد من قبل، وفي الوقت ذاته كان راعي يشعر أن سنوات من عمره تمر في هذا الحدث الرهيب.

يحاول أن يعيد تفعيل الرادار الذي يأبى أن يظهر أي بيانات عقلانية، ولكن على الأقل تظهر الشاشات مؤشرات الوقود والأكسجين في المقاتلة وبعضًا من نشاطات الحطام

من حوله.

لا توجد دفقات إرسال تتمكن من الهروب من هذا الجنون.

«لا فائدة من إرسال أي بيانات أو حتى رسائل استغاثة».

يفكر راعي بتلك الكلمات وهو يشعر بغصة تزداد ليس لشيء سوى أنه في قلب حدثٍ سيغير العالم للأبد، لا شك أن تلك الأشكال الهندسية المثلثة سفن ليست من صنع بشر.

هو في قلب الحدث لكنه لن يتسنى له أبدًا أن يعرف ما سينتج عنه، أو كيف سيتغير التاريخ من بعد تلك اللحظة.

يقتله ألا يعرف.. يقتله ألا يحيا ليرى تاريخ البشر يُكتب بمعطيات جديدة.

«لو كان هناك عدل في الكون فيجب ألا أموت قبل أن أعرف على الأقل لماذا تقود سفينة أجيال ضائعة أسطولاً من الفضائيين!»، ثم يدقق النظر في القليل من المعلومات التي يشير له بها راداره الخرب لتطرأ على ذهنه فكرة مختلفة.

«أتلك السفينة تقود الأسطول أم تهرب منه؟»..

لا يمكن قياس تشكيلات الحرب وتشكيلات الأسطول البشري على تفكير كائنات غير بشرية، ولكن تلك السفينة

تبدو أنها تهرب، لا تقود.

نظرة أخرى على مستويات الوقود ثم يهز كتفيه ويقول لنفسه: ما أسوأ شيء يمكن حدوثه؟ فأنا ميت على أي حال؛ فلأرضي فضولي إذن.

وبعد عدة محاولات تنطلق مقاتلته بآخر مخزون من الوقود بين شظايا وبقايا دمار سفينة السجلات وبعض مما سقط من مقاتلته ذاتها باتجاه سفينة الأجيال.

كان اعتماد راعي الأساسي ليس على الانطلاق في عكس القوة الطاردة، ولكن في أن يحاول الالتقاء بمسار السفينة التي تنطلق في عكس اتجاهه بسرعة أكبر من قوة الطرد. يحتاج فقط إلى أن يثبت في مكانه متفاديًا أن يتحطم حتى.. يصل.. إلى محاذاة السفينة و.. الآن.

ينطلق راعي في خطٍّ بناءً على حساباته السريعة سيكون بها مدخل مرفأ سفن الإنزال وهو يرسل في كل الاتجاهات الإشارة العامة لفتح منصات الهبوط على سفينة الأجيال.

مع اقترابه من سفينة الأجيال تزداد سرعته وتزداد سرعة السفينة، وفي عقله مرة أخرى يتباطأ كل شيء وهو يتشرب بعينيه هيكل السفينة المليء بالندوب التي نالت منها على مدار قرنٍ من الزمن في أرجاء غريبة. كل ندبة بقصة لن تُحكى أبدًا.

تزداد السرعة، ويكاد يتنفس الصعداء حين يرى أن منصة

الهبوط مفتوحة، ولكن المنصة أعدت لمقاتلات وسفن إنزال أصغر حجمًا مما يقوده راعي الآن.

في سرعة جنونية تجري أصابع راعي على الشاشة لإغلاق كل الأجنحة، ولكن بالطبع لم تتسنَّ الفرصة لمعالجات المقاتلة أن تنفذ الأمر.

بمعجزة ما تدخل المقاتلة إلى مرفأ السفينة، ولكن تاركة أجزاء من أجنحتها في الخارج في سرعة يجذب راعي أذرع إطلاق الطوارئ الميكانيكي لينطلق مقعده داخل مكعب من جانب المقاتلة ليتدحرج مباشرة على أرضية المرفأ ويستمر في التدحرج بينما تنجح أخيرًا آلية سفينة الأجيال في إغلاق المنصة؛ فاصلة أجنحة المقاتلة تمامًا عما تبقى من جسدها، وتبدأ في سرعة في فتح إزالة العازل من منصة الهبوط عن باقي المرفأ ليمتلئ بالأكسجين الذي يسدي بقايا الوقود العالقة على المقاتلة خدمة كبيرة مع احتكاك جسدها غير الثابت لتشتعل على الفور.

يخرج راعي من المكعب لاهث الأنفاس، ناظرًا من حوله إلى السفن والمقاتلات العتيقة في المرفأ باحثًا عن أي أثر للحياة غير مقاتلته المغطاة بالنيران المفعمة بالحياة.

لا أحد.. فقط مركبات وأجهزة بعضها أقدم من أن يستطيع أن يتعرف عليها راعي، ولكن على الأقل يستطيع التعرف على الأزرار الحمراء والرسومات التي تشير بوضوح إلى

أنظمة الإطفاء. يكاد يتعثر مرتين وهو يركض باتجاه تلك الأنظمة داعسًا على كل ما تطوله يده من أزرار.

ينطلق صفير وإنذار لا يختلف كثيرًا عما استيقظ عليه منذ عدة ساعات.

يتفجر في كل مكان من السقف انفجار مكتوم، كتل من البودرة البيضاء التي تغطي كل شيء وتغطيه.

يأخذ مطفأة حريق عتيقة معلقة ويركض في اتجاه مقاتلته ليجد أنها كانت بالفعل قد خمدت آخر نيرانها.

ينظر إلى مطفأة الحريق في يده ثم يطلق منها دفقتين على أي حال ثم يلقيها جانبًا وينهار أرضًا مستجمعًا أنفاسه، شاعرًا برغبة عارمة في البكاء والصراخ، ولكنه يستبدل بالبكاء ضحكة طويلة وصرخة ثم يغمض عينيه منتظرًا أن تستقر نبضات قلبه.

قد فعلها!

هو في قلب لغز شغل البشر منذ أكثر من قرن ماذا حدث لسفينة الأجيال؟

حتى لو لم ينجُ مما سيحدث بعد ذلك فإنه سيعرف إجابة واحدة على الأقل ستجعله مختلفًا.

ينزع راعي عن نفسه بدلة الطيران الثقيلة التي كان تحتها زيه الحراري ذو اللون الأصفر الخاص بالمستجدين على

السفينة «تيامات».

يعود لمكعب إطلاق الطوارئ جاذبًا سلاحه الآلي وخنجر وحزام المعدات.

على عجل يضع الحزام حول وسطه ويربطه ويأمنه بربطة الفخذ، وينطلق في اتجاه بوابة المرفأ آملًا ألا تحتاج البوابة لأي أكواد؛ حيث إن مقاتلته قد تفحمت الآن ولن يتمكن من استخراج أي معلومات من معالجها الخاص.

يقترب من الباب ليجد أن الحظ قد ابتسم له للمرة الأولى في الأربع والعشرين ساعة وأنه يحتاج فقط إلى جذب ذراع ميكانيكية لفتح باب المرفأ.

يجذب الذراع الميكانيكية وبسمة ترتسم على وجهه لتموت البسمة على شفتيه في اللحظة ذاتها حين ينسحب جانبا الباب كاشفين عما خلفهما.

أقرب ما يستطيع راعي وصفه لما رآه خلف الباب كان كتلًا ضخمة من الصديد. كرات بيضاء بشعة المنظر مكونة من غشاء بلاستيكي ربما.. تحتوي على مواد بيضاء لا يمكن تحديد كثافتها دون مغامرة بالاقتراب منها.

كانت تلك الكرات تشغل جميع أرجاء الممر الواسع الذي امتد أمامه لعدة أمتار كانت تلك الفقاقيع بشعة المنظر، تغطي حتى على الأبواب والممرات الجانبية. فكر راعي أن ذلك سيزيد الأمر تعقيدًا؛ حيث إن سفينة الأجيال حجمها

يقارب حجم قرية صغيرة بالفعل دون خريطة أو وجهة محددة لمركز قيادة السفينة أو أي خطة من أي نوع حقيقة؛ فربما يحتاج لأيام ليجد أي معلومة مفيدة. كان يفكر وهو يتحرك وعيناه تلتهم كل ما يصلها من معطيات. بالطبع لا توجد أي إشارة تصله بالإنتجريشن.

يلمح جزءًا من كتابة على جانب الطرقة مغطاة بشكل كبير ولكن يستنتج مما هو ظاهر:

١- أنها اتجاهات لبعض المواقع الهامة على السفينة.

٢- أنها قد كتبت بالسبرانتو، الذي يجيده، ومعززة أيضًا ببعض الرسومات.

كل ما عليه إذن هو إزالة بعض من تلك الفقاقيع ليرى إرشادات تدل على الاتجاه الذي يجب عليه سلوكه.

يضبط راعي سلاحه على الطلقات الحرارية. دفقات نصف آلية ويقترب بسلاحه بواحد من تلك الفقاقيع ويفتح النيران.

تخترق الطلقات الحرارية الفقاعات بسهولة وسرعة، ولكن ما لم يتوقعه راعي أن يتحرك التكتل الأبيض اللزج ما إن تحرر من الفقاعة.

متشكلًا كأفعى يتلوى التكتل الأبيض في الهواء قابضًا على فوهة سلاحه الذي يتركه راعي عن فوره لينجذب في

اتجاه التكتل الذي تحرر، ملقيًا بجسده إلى الوراء ليبتعد عن ملامسته ليشعر بظهره يرتطم بكتلة لينة، وقبل أن يتمكن من الالتفات لرؤية ما وقع في براثينه تحاوطه الكتلة البيضاء التي يشعر بها الآن كسائل كثيف عاصرة جسده في نعومة، ومحاولة التسلل إلى داخل جسده أيضًا من خلال أنفه وعينيه.

يكتم راعي أنفاسه ويغمض عينيه آخذًا شهيقًا أخيرًا قبل إظلام كل شيء.

***

العالم صارت تحكمه شركات ضغط الملفات والاتصالات، فمن يتحكم في البيانات يتحكم في الاتصالات ويتحكم في العالم.

كانت الحكومات قد صارت مؤسسات تخدم الشركات المسؤولة عن ضغط وإرسال الملفات، ويتابع المهتمون بالشأن العام تغيرات مجلس إدارة تلك الشركات ليتوقع التغيرات السياسية وإذا أردت أن يكون لك صوتٌ في أي تغيير أو تطوير فيجب عليك أن يكون لك سهم في تلك الشركات، التي يتقلص عددها باستمرار حتى تصبح شركة واحدة سائدة تتحكم في باقي الشركات، ومدى أهميتك كمواطن وكإنسان تتناسب طرديًّا مع حجم الأسهم المسجلة باسمك.

من مذكرات «بيجين الراعي»

يشعر راعي برئتيه وهي تكاد تنفجر صارخة طلبًا للأكسجين. يحاول أن يحرك يده بصعوبة لينتزع الخنجر من الحزام.

تتلمس أصابعه المقبض بصعوبة، لم يكن يعرف بالضبط ما الذي يستطيع فعله بالخنجر ولكنه قدر أنه ربما يكون محاطًا بذات الغشاء الذي تتكون منه الفقاقيع، ثلاث أصابع تتمسك بالمقبض، يسحب به الخنجر حتى يصل إلى قبضة يده.

يحاول تحريكه بكل قوته إلى الأمام، ولكنه لا يرى أي

شيء.

فلا يعرف إن كان مواجهًا لحائط السفينة والفقاعة في ظهره أم تحته أم فوقه.

يزداد الضغط على رئتيه ليفتح عينيه لاإراديًّا، ليتوغل السائل الكثيف الحارق لعينيه، ولكنه للحظة يستطيع تقدير أن الفقاعة أمامه.

يدفع بجسده إلى الأمام موجهًا الخنجر قبالته ويشعر بالخنجر يشق شيئًا أمامه، ليختل توازنه ونجد جسده قد لفظه السائل إلى الخارج مطلقًا سراحه أرضًا.

يهاجم الهواء خلايا رئتيه بضراوة، يتجرع راعي الهواء في جشع مما يسبب له نوبة من السعال. يمسح بقبضتيه ما علق في عينيه، محاولًا تميز الموجودات من حوله في صعوبة. وهنا يرى الخيال الماثل أمامه؛ يدفع بجسده إلى الخلف مرة أخرى في حركة غريزية ولكن تخرج من هذا الظل غير محدد الملامح يد تجذبه ناحيتها.

بصعوبة شديدة وعين واحدة بدأت في تكوين رؤية؛ يجد راعي آخر شيء يمكن له تخيله أو رؤيته في هذا الوقت والموقف والمكان.

طفلة صغيرة لا يمكن أن تكون قد تجاوزت العاشرة من عمرها، تنظر بتعبيرات مصمتة تمامًا.

فقط يدها ممسكة بيده.

يزدرد راعي لعابه وينطق قائلًا: لا.. تـ.. تـ.. خـ..افي.

***

الفصل الثالث

الخطة/ ب

- دعني أستوضح أمرًا.. أنت كنت وحدك على متن سفينة اختفت منذ أكثر من قرنين من الزمان، وكنت قد حررت نفسك للتو من فقاعة تحتوي على سائل غير معروف كنهه، ولكن أقرب وصف له طبقًا لكلماتك «صديد لزج» لتجد أمامك طفلة لم ترها من قبل تعيش وحيدة على تلك السفينة المهجورة فتطلب منها ألا تخاف؟

يحك راعي مؤخرة رأسه الحليقة تمامًا من خلف الحاجز البلاستيكي الذي يجلس خلفه داخل غرفة العزل على السفينة «تيامات».

ويأخذ نفسًا طويلًا يكتمه في جوفه للحظات قبل أن يبدأ في إخراجه ببطء ويغمض عينيه وهو يقول: لا.. ليس.. صح صح. ـيحًا.. بالضبط.

ثم يعض على شفته السفلى وهو يضم قبضته آخذًا دفقة أخرى من الهواء، يطلقها في سرعة أكبر بينما ضابط التحقيق يسأله: ما الذي ليس بصحيح؟

نفس آخر عميق يأخذه راعي ثم يفلت قبضتي يديه المشدودتين ببطء فاردًا كفيه على ساقيه وهو يقول: سفينة الأجيال فقدت منذذذ.. أكثر من ثلاثة قرون. ولم أكن

أعرف.. وقـ..ـت رأيـ.. أيـ..

بعصبية يشير راعي إلى عينيه بأصبعه وهو يقول: ـتها.. رأيتها أن السفينة مهجورة. وأيضًا لم تكن أول مر..رة...

يبتلع راعي ريقه وهو يشير إلى عينيه مرة أخرى ليساعده المحقق بأن يكمل: لم تكن أول مرة تراها.

يهز راعي رأسه موافقًا مشيرًا بإبهامه بعلامة التأكيد. يشرئب المدني الجالس بجانب المحقق بعنقه باتجاه الضابط وهو يتساءل: لحظة، ماذا يقصد بأنه رآها من قبل؟ هل هناك معلومات عسكرية لم يتم إطلاعي عليها؟

ثم يشير بأصبعه في وجه الضابط الجالس بجانبه، يكاد يفقأ عينيه وهو يقول: عليك فهم أن سلطتي هنا مطلقة برغم أي شيء يحاول المستشار العسكري إيهامك به. أنا رئيس القطاع السابع ولي مطلق...

ليأتي صوتٌ من خلفه في ركن الغرفة قائلًا: «ميتشوم» أيها الأحمق.. هو يتحدث عن البث التاريخي المحفوظ الذي رآه كل العالم على الإنتجريشن في البث الوحيد الذي تلقيناه من سفينة الأجيال وظهرت فيه تلك الفتاة تصرخ. وجهها محفور في ذهن كل من لم يرزق بنفس القدر من بلاهتك.

تتصاعد الألوان لوجه «ميتشوم» وهو يستدير بجسده مواجهًا إياها قائلًا: «سيڤا»، أقدر قليل من الاحترام ونحن

أمام مرؤوسيَّ.

تتنهد «سيڤا» متجاهلة إياه وهي توجه حديثها للضابط: من فضلك أكمل درس التخاطب الذي تحاول القيام به. أم كان ذلك تحقيقًا لا أتذكر.. فقد نعست حتى أيقظني صوت هذا القبيح.

كاد «ميتشوم» أن يعلق على وصفه بالقبيح، ولكن الضابط الذي لم يلتفت حتى له كل هذا الوقت عاود الحديث مع راعي وكأنهما وحدهما في الغرفة.

- شكرًا على تصحيحك، ولكن بالتأكيد كانت تلك أول كلماتك لها.

هز راعي رأسه موافقًا ليهز الضابط رأسه وهو يقول: راعي تحتاج أن تؤكد علي صوتيًّا، فلا يمكن الأخذ بالإشارات الجسدية في تسجيل رسمي.

- نـ.. نعم.. صحيح. كمقاتل أرضي مهمتنا الأولى حماية وتأمين كل المدنيين.

ضحكة مكتومة تأتي من «سيڤا» وهي تقول: كم هو لطيف! إنه يؤمن بما يقوله، حتى إنه لم يتلعثم وهو يردده.

- لمعلوماتك يا سيـ يدة «سيڤا»؛ أنا لا أتلعثم في حديثي طوال الوقت.

- نعم أعرف، فقبل مجيئي إلى هنا حين ظننا أنك قد

لقيت حتفك وأنت تقوم بالخطة «لست أحمق تمامًا/ أ» رأيت بعضًا من تسجيلاتك الهولوجرامية وأنت تغني أغاني البحارة، ولم تكن تتلعثم في أثناء أدائها، ودعني أخبرك بسر.. أنت أحمق.

يشيح راعي بوجهه وهو يبحث عن لحيته ليعبث بها ليقابله وجهه الحليق وهو يقول: أشكرك.. يا سيادة المستشارة.

- لا.. لا داعي للشكر؛ وها أنت تتحدث دون تلعثم كببغاء فصيح.

بسمة صفراء ترتسم على وجه راعي وهو يقول لها: أواجه تلك المشكلة فقط حين أتحدث مع أي شخص أكن له أي قدر من الاحترام.

انتفخت أوداج الضابط المحقق للحظة ثم سعل وهو يوجه نظرة نارية لراعي، وامتلأت الغرفة بضحكة مجلجلة متأخرة من «ميتشوم» وهو يكاد أن يركل الأرض ويشير بأصبعه كطفل صغير.

- راعي.. يجب علينا التعاون التام واحترام ضيوفنا على «تيامات» كممثلين رسميين للرئيس التنفيذي بنفسه.

تنقطع ضحكة «ميتشوم» سريعًا التي كانت لا تزال مستمرة وهو يقول مغالبًا سعالًا قد ألم به من كثرة الضحك: أنا رئيس القطاع السابع، وسلطتي هنا أكثر من كافية؛ لا

أحتاج لتزكية من...

مرة أخرى تقاطعه «سيڤا» والضجر يملأ صوتها: اخرس أيها الأحمق. فلتكمل تحقيقك أيها القائد، لن تكون هناك مقاطعات أخرى.

ينظر الضابط لكفيه اللتين قد شبكهما أمامه للحظات، ثم يرفع عينيه لراعي مرة أخرى: أخبرني عن حالة سفينة الأجيال.

- كل أنظمة المعيشة كانت تعمل بشكل جيد.. على الأقل في المناطق التي مر..رنا بها.

- اصطحبت الفتاة في أثناء جولتك داخل السفينة؟

أشار راعي بالإيجاب بهزة من رأسه ليشير الضابط بأصبعه لدرون التصوير الذي يسجل المحادثة ليقول راعي بصوتٍ واضح: نـ.. نعم. اصطحبتها في أثناء بحثي عن غرفة القيادة، وكنت في حالة من عدم الاتزان، إذ شعرت أن وجه تلك الفتاة مألوف، وعلي حمايتها بالطبع، ولـ ككن، لم أستطع تحديد موضع الذكرى، أو موضع الألفة. لم يدُر بيني وبين الفتاة حوار، في أثناء اختراقي لممرات السفينة، فقط تومئ برأسها من حين لآخر حين أطلب منها التوقف لتفحص الكتابات على جدران الطرقات التي احتجت إلى كثير من الحرص لرؤيتها وتفسيرها دون أن أفجر فقاعة أخرى لتحاول التهامي أنا والفتاة.

- هل تظن تلك الفقاعات صُنعت على السفينة لتحتوي ذلك السائل الفضائي، أم تلك الفقاعات جزء من تكوين ذلك السائل الغريب؟

يكاد راعي أن يجيب عن السؤال الذي أتى من «سيڤا»، ولكنه ينتبه فجأة لينظر للضابط المحقق في تساؤل ليهز له الضابط رأسه مشيرًا له أنه يمكنه الإجابة.

يبتسم راعي وهو من يشير تلك المرة بأصبعه إلى الدرون الذي يسجل المحادثة.

يبتسم الضابط بدوره وهو يقول: يمكنك الإجابة عن سؤال سيادة المستشارة «سيڤا».

- لا، لا أظن أن أيًّا من ذلك التكوين العجيب ينتمي لتكنولوجيا بشرية.

نصف بسمة على وجه «سيڤا» وهي تقول: تفترض أن من كان على سفينة الأجيال قد ظلوا بشرًا.

- تظنين أنهم تحولوا لمصاصي دماء؟

تتسع بسمة «سيڤا»: لا ولكننا توقفنا عن اعتبار الروافد بشرًا بعد.. كم جيلًا؟ كم جيلًا ولد وعاش في الفضاء؟ حيث تغير تشكيل عظامهم ولهجتهم التي تطورت للغة جديدة بالكامل. والروافد أثناء تطورهم على مر السنين كان ما زال يجمعنا بهم إنتجريشن واحد وتواصل دائم ما بالك بمن

انعزل تمامًا عن كل الحضارة البشرية.

يتمتم «ميتشوم» بصوت خافت ولكنه مسموع للجميع: كانت هناك دائمًا الأصوات التي تقول حين أطلقت سفينة الأجيال إن الجيل الذي سيخطو بعد مئات السنين خارجًا من سفينة الأجيال ليطأ كوكبًا جديدًا يصلح للحياة سيكون قد توقف عن كونه جزءًا من الجنس البشري، وتطور إلى جنس جديد كليًّا، ربما ما يصلح لحياته ككوكب أو كمستعمرة لا يصلح لمن بقي على الأرض.

يخيم الصمت للحظات بعد انتهاء «ميتشوم» من الحديث الذي انجذب له رغمًا عنه، وطرف عينيه يحاول ألا يلتقي بعيني «سيڤا» في خوف من الصوت القادم سخرية مما قال.

وحين يطول الصمت يأخذ الضابط دفة الحديث مرة أخرى قائلًا: حسنًا، العينات التي علقت في ملابسك وشعرك ستخبرنا أكثر عن تلك المادة. في الوقت الحالي أخبرنا عما حدث بعد ذلك.

يعدل راعي من وضعية جلوسه متخذًا نفسًا طويلًا ليخرجه في هدوء مرة أخرى قبل أن يكمل:

- فشلت تمامًا في الوصول إلى غرفة القيادة بعد عدة ساعات من تمشيط كل ما استطعت دخوله من غرف، بعض الأقسام كانت تتكون من عدة أدوار حتى اهتديت إلى

نقطة تنظيم الاتصالات الإنتجريشن المحلية داخل السفينة وبطبيعة السفينة الاستكشافية فإنها قد صممت كي تكون هناك عدة نسخ من الصندوق الأسود الذي يسهل الوصول إليه خارج منطقة القيادة.

بالطبع كان يشرح هذا الجزء الأخير ناقلًا نظره بين «ميتشوم» و»سيڤا»، فتلك معلومة يعرفها أي ضابط في الأسطول العسكري جيدًا.

ليقول «ميتشوم» لاويًا شفتيه بامتعاض: أرى أن ذلك التصميم يفتقد الحكمة. فذلك يسهل وقوع معلومات لا تقدر بثمن في يد الأعداء بسهولة.

لأول مرة يتدخل الضابط للرد وهو يقول: سيد «ميتشوم» حين أطلقت السفينة لم يكن هناك انفصال بين الأرضيين والروافد بعد، وعلى أي حال فإن سهولة الوصول واستخراج الصندوق لا تعني إمكانية فك تشفيره أو استخراج أي نوع من المعلومات منه. لا تزال كل عمليات الاستخراج تتم في مركز الشركة الأم على الأرض.

هز «ميتشوم» رأسه في رضا وهو يقول: حسنًا، من الجيد معرفة ذلك، ومعرفة أنه على مدار تاريخ شركتنا؛ فإن أكوادنا بعد ثلاثة قرون لا تزال مستحيلة الاختراق.

كاد راعي أن ينطق بشيء، ولكن هزة رأس خفيفة من الضابط جعلته يطبق فمه ثم يقول وكأنه يكمل حديثه:

احتجت إلى عدة ساعات لاستخراج الصندوق الأسود وبياناته المشفرة.

قال الكلمة الأخيرة وهو يشير بإيماءة رأس إلى «ميتشوم».

- في تلك الأثناء حاولت التواصل مع الفتاة بكل الطرق واللغات التي أجيدها دون فائدة. في النهاية استجابت لإشارة بيدي أنني جائع، لتصحبني لطابعة طعام عتيقة أنتجت بعضًا من أصابع البروتين لكلانا، وفشلت فشلًا ذريعًا في استخلاص المياه، أو صناعة أي مشروب مألوف، ولكن سائلًا ما باردًا خرج من الطابعة فلم أستطِع الاعتراض وتجرعته على الفور، واطمأننت حين رأيت الفتاة تتجرعه هي الأخرى. طبعت عدة أصابع بروتين كزاد لطريق العودة لمرفأ السفن. اخترت أصغر وأسرع سفينة إنزال موجودة وانطلقت بأقصى سرعة سمحت لي بها محركات السفينة الصغيرة.

- هنا يجب أن نسأل يا بني؛ لماذا لم تحاول سفن الهرميين.. معذرة.. سفن الكائنات الفضائية اللحاق بك؟

يهز راعي كتفيه وهو يقول: لا يمكنني أن أجزم جزمًا قاطـ.. عًا، ولكن أعتقد أننا أقرب للنمل بحجم السفينة الصغيرة التي كنت أهرب بها، لم تكن رحلة العودة سهلة.. وحتى حين التقيت بأول المقاتلات تفاجأت بوجود سفن

تحالف روافد وأرضيين في انتظاري. فبالنسبة لـ. لـلـ. . .ـي لم يـمـ مـ مـر أكثر من يوم على رحـحـيـ يـيـ لي.

- آه، يبدو أن راعي لم يكن يستذكر نظريات الفيزياء جيدًا.

تقولها «سيڤا» في مرح.

- عدة أمور شـغـلـ. . لـتني وقتها أن أستوعب أنني كنت في مدرا. . ار. جاذبية ثقب أسو. .و. .د.

- وحين استوعبت أيها الطالب النجيب؟ فما الذي أخبرتك به نظرية النسبية؟

- أن الوقت يتباطئ في مدار جاذبـيـ يـيـة مهول مثل هذا، فما مر عليّ كيوم، كان عدة أشهر في جانبكم.

- أحسنت يا راعي، درجة نهائية. والآن لبعض الدرجات الإضافية. . ما الذي يخبرك به كونك تتأتئ أمامي الآن؟

***

كلمات نهمة ويلرمن، يغنيها «بيجين الراعي».

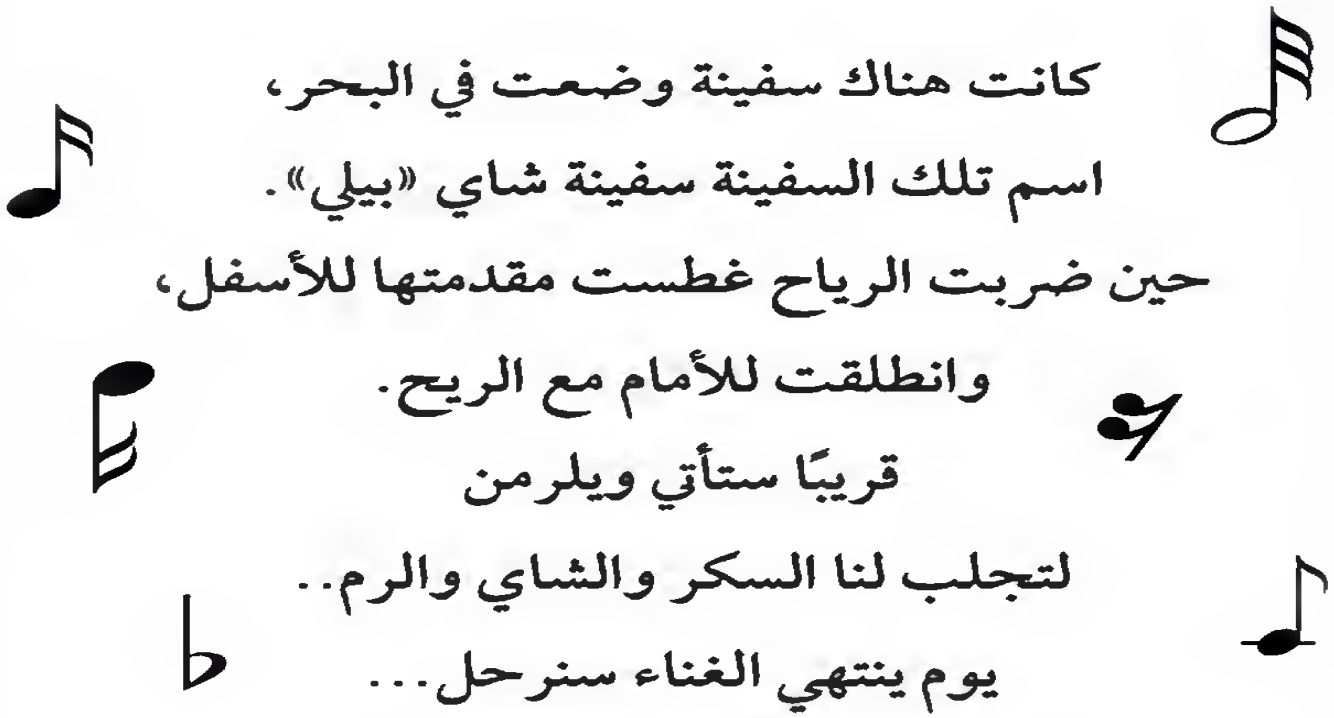

كانت هناك سفينة وضعت في البحر،
اسم تلك السفينة سفينة شاي «بيلي».
حين ضربت الرياح غطست مقدمتها للأسفل،
وانطلقت للأمام مع الريح.
قريبًا ستأتي ويلرمن
لتجلب لنا السكر والشاي والرم..
يوم ينتهي الغناء سنرحل...

***

لم يكن لراعي أن يتذمر؛ فهو برغم كل شيء قد خرج أخيرًا من غرفة العزل، حسنًا.. يمكنه أن يتذمر قليلًا، من البدلة البلاستيكية الفضفاضة المجبر على ارتدائها، التي كتب عليها بكل اللغات «خطر بيولوجي»، والملازمين اللذين يلاحقانه في كل مكان؛ وكأنما كان يحتاج إلى المزيد من جذب الانتباه. اللطيف في الأمر أن معظم زملائه يعاملونه كبطل حرب متمرس الآن؛ كل ذلك جراء مهمة واحدة مرت عليه كثماني وأربعين ساعة بينما كانت عدة أشهر لكل من سواه.

لن يرفض لقب أو معاملة بطل، حتى وإن كان بطلًا يخشى

الطاقم الاقتراب منه كثيرًا لا يمكنه حتى تناول الطعام إلا داخل غرفة العزل. ليكن صادقًا مع نفسه؛ فمنذ أن انتقل إلى «تيامات» وهو يعرف أنه سيبقى في غرفة العزل لفترة بسبب ما يزوره من أطياف؛ لقد قام بعملية نزع الأحلام منذ أن كان صغيرًا لتسهيل سفره عبر القطاعات مع عائلته عبر النسيج المرمل، ولكن تلك الأطياف التي تقترب بشدة من أن تكون حلمًا كانت ظاهرة نادرة ولكنها معروفة تحدث لبعض المسافرين عبر النسيج ويحتاج على وجه السرعة إلى إعادة الفحص على متن إحدى المحطات العلمية المتخصصة لتحديد إن كان العلاج الدوائي يكفي أم عملية جراحية جديدة ستكون ضرورية، وفي تلك الأثناء كل من تزوره تلك الأطياف أو حتى يشتبه فيه يجب أن يبقى في غرفة العزل ينام بمخدر ثقيل وبعيدًا عن غرفة المحرك تمامًا لأمان طاقم السفينة.

إذن فغرفة العزل كانت قدرًا محتومًا. بعض الإضافات غير المريحة لن تعكر من مزاجه في شيء؛ فإن سار كل شيء على ما يرام؛ مهمة أخرى ناجحة وسينال الترقية المبكرة التي يسعى لها منذ أول يوم في الكلية العسكرية.

إشارة من واحد من الملازمين اللذين يراقبانه تجعله يخرج من أحلام السلم الوظيفي السريع الذي كان غارقًا فيه.

- «ميتشوم» يود أن يراك في مكتبه.

كان رئيس القطاع صار ضيفًا مقيمًا على متن «تيامات»، واستولى على مكتب الضابط الأول للسفينة بينما «سيڤا» اللطيفة قد اتخذت من غرفة قائد السفينة مكتبًا لها.

ثلاث نقاط فحص مروا بها قبل أن يصلوا إلى مكتب «ميتشوم» الذي ينظر إليه متفاجئًا وكأنما أزعجه في وقت غير مناسب ليبدأ راعي حديثه: استدعيتني؟

- آه، راعي لم أتعرفك.

يعض راعي على فمه من الداخل مقاومًا سبة توشك أن تنطلق، فكم شخصًا يرتدي حلة بيولوجية صفراء يجوب «تيامات» الآن.

- نعم يا سيدي، أؤكد لك أنني.. راعي.

- استرح.. استرح.

يبدأ راعي في التجهيز لتمارين التنفس الخاصة به التي تساعده على انسيابية الكلام، مستبقًا تحقيقًا جديدًا مطولًا يمر به مرة على الأقل كل أسبوع مع «ميتشوم» أو مع قائد وحدته أو «سيڤا».. اللطيفة.. جدًّا.

- لم تحاول زيارة الفتاة منذ أن سُمح لك بالخروج من غرفة العزل!

يعقد راعي حاجبيه وهو يسأل: أتتلقى الفتاة زيارات الآن؟ ألا يجب أن تكون.. معذرة.. أليست معزولة بدورها؟

- آه نعم.. نعم.. بالطبع.. معزولة في غرفة عزل خاصة.. خاصةً أنها لم تحظَ بعملية نزع الأحلام، هي نهمة جدًّا للمحادثات. ولكن...

يمد «ميتشوم» جسده للأمام وهو نصف واقف مكملًا: تلك بالضبط المشكلة. نحن غير مسموح لنا بأن نتوسع في الحديث معها بأمر من القيادات.

لا يستطيع راعي كبح فضوله وهو يسأل: اعذرني يا سيدي، ولكن.. ظننت القيادات سترغب في الحصول على كل ما لدى الفتاة والصندوق الأسود في أسرع وقت!

يعود «ميتشوم» ليجلس على مقعده ويطرق بأصابعه على المكتب وهو يهز رأسه وكأنما يزن فكرة ما ثم يقف ملتفًّا حول المكتب ليشير برأسه إلى كل من حرسه الخاص والملازمين اللذين رافقا راعي ليبتعدا عن الباب قبل أن يضغط على تجويف في الحائط، لينزلج الباب مغلقًا من خلفهم.

- راعي أود أن أخبرك أن شجاعتك الاستثنائية فقط هي ما ستشجعني على شرح الموقف كاملًا لك ليس لإرضاء فضولك فقط؛ وإن كنت تستحق، ولكن لأنني أرى فرصة تعاون لحل معضلة كبيرة نواجهها.

- كلـلـ ـي آذان مصغية.

يجز راعي على أسنانه بعد لجلجة أخرى قد فلتت منه من

فرط حماسه.

لم يلحظ «ميتشوم» أي شيء وهو يعود ليجلس على مقعده قائلًا: إن تحالفنا الهش جدًّا الآن مع الروافد لمواجهة هذا الخطر الجديد الذي يدعوه بعض العسكريين «الهرميين» يحتاج إلى بعض التضحيات. فنحن لا نستطيع حماية القطاع السابع بقواتنا وحدها (ثم يتنهد مكملًا بصوت أكثر خفوتًا) ولا أعتقد حتى بقوات الروافد. ولكن على الأقل فنحن لا نقتل بعضنا بعضًا بينما مفترس مجهول يأتي من أجلنا. ومن أجل هذا التحالف الهش كان يجب التضحية بمعلومة سرية ثمينة كبادرة حسن نية...

برغم وسائل التهوية الداخلية للبدلة البيولوجية إلا أن جسد راعي بدأ في التعرق، وهو يشعر أنه يسمع أسرارًا لم يكن يتخيل أنه سيسمعها. الحقيقة أن أغلب الظن أن «ميتشوم» أحمق ولا يجب عليه أن يخبر راعي بما يتلوه عليه الآن.

يدعو راعي ألا يقتله فضوله وحماقة «ميتشوم» ويلتزم الصمت وهو يسمع.

- لقد جئت لنا من سفينة الأجيال بكنزين، وفي اتفاق في الرأي نادر الحدوث بيني وبين «سيڤا» اتفقنا على أن معلومة الصندوق الأسود وعودتك به هي المعلومة الأقل قيمة التي سنشاركها مع الروافد. بينما وجود تلك الفتاة يجب أن يظل سرًّا حتى نستطيع بشكل ما إيصالها للأرض.

احتار راعي أن يوجه أسئلته إلى «ميتشوم» أم يتركه يحكي كل ما لديه قبل أن يقاطعه.

لسخرية القدر لم يكن راعي يستطيع أن يتحكم في لسانه؛ فوجد نفسه يسأل مستنكرًا: كيف نستطيع إرسال الفتاة في الأرض دون النسيج المرمل؟

- بالضبط لا يمكننا فعل ذلك أبدًا. تحتاج إلى عملية نزع أحلام.

- وأقرب محطة علمية على بعد عشر سنوات.

- حقيقي.. إن الكون مكان واسع من دون النسيج المرمل.

يقولها «ميتشوم» وهو ينظر نظرة حالمة إلى سقف الغرفة.

يقطع راعي عليه تأمله: ونحن شاكرون للكون لوجود النسيج المرمل.. ولكن أخبرني.. مـ ما الذي نستطيع أن نفعله؟

- رسميًّا لا شيء.. لا شيء على الإطلاق. حتى إخراج الفتاة من غرفة العزل وإخراج أي سفينة أو جندي لمرافقتها سيجذب انتباه الروافد.

- أعتقد أنك تحاول إخباري أن هناك فكرة غير رسمية؟

تنتفخ أوداج «ميتشوم» وهو يقول: كوني الرئيس التنفيذي للقطاع السابع بأكمله تتوافر عندي معلومات غاية في

السرية لا يعرفها حتى قائد السفينة «تيامات»، ولا حتى المستشارة «سيڤا».

- أنت تريد أن تنفذ أمرًا...

يقاطعه «ميتشوم»: خطة...

يهز راعي رأسه وهو يقول: حسنًا.. خطة.. دون إخبار «سيڤا»؟

يصمت «ميتشوم» للحظة ثم يهز رأسه وهو يقول: في عالم مثالي بالتأكيد ولكنها الفتاة المدللة لمجلس الإدارة بأكمله. فلا يمكنني أن أفعل ذلك.. بالتأكيد سنخبرها بالخطة، فهل أنت معي؟

يأخذ راعي نفسًا عميقًا تلك المرة كي يحاول عدم الصراخ وهو يقول: أي خطة؟

***

- أنتم حمقى...

قالتها «سيڤا» دون أن تتكلف عناء رفع عينيها من فوق اللوحة الإلكترونية الذي تشاهد عليه فيلما حملته قبل السفر من الأرض يحكي عن لقاء البشر الأول مع الفضائيين.

- هل أستطيع أن أنال القدر الكافي من الاحترام والذي يتمثل في أن.. توقفي عن مشاهدة هذا الهزل وناقشيني بجدية ونحن نعرض عليك حلًا لمعضلة تؤرق الرئيس

التنفيذي ذاته.

يقولها «ميتشوم» وهو يحاول أن يجعل لهجته آمرة وتنضح بالخطورة.

توقف «سيڤا» الفيلم، وتنقل نظرها ما بين راعي في بذلته الصفراء الزاهية، وميتشوم قبل أن تقول لـ«ميتشوم»: أولًا هذا الفيلم حبكته جيدة جدًّا، وليس هزلًا، خاصة أنه أُنتج على عجالة شديدة، وأنا أعتبره هو والستة والتسعين فيلمًا الآخرين التي حملتها على الإنترجيشن والتي تتحدث عن لقاء البشر الأول بالكائنات الفضائية دراسة مهمة لوضعنا الحالي.

يلقي «ميتشوم» جسده على الكرسي المقابل لمكتب «سيڤا» وهو يقول: لا فائدة.

ثم ينظر إلى راعي قائلًا: أخبرتك أنه في عالم مثالي كنت سأنطلق بتلك الخطة معك ونحقق نجاحًا منقطع النظير يبهر أعضاء مجلس الإدارة ويجعل منك أسطورة.

تتنهد «سيڤا» ملقية اللوح الإلكتروني على المكتب وهي تقول: دعنا نراجع تلك الخطة العبقرية، ولنطلق عليها «أنا أحمق تمامًا/ ب».

ضحكة خافتة تهرب من راعي.

لتقول «سيڤا»: أشكرك، أنا أقدر التسميات الجيدة،

وأعتقد أن تلك التسميات ستضع أساسًا جيدًا لأسامي كل الخطط التي تنتج من قريحة ساكني هذا القطاع. بالعودة لخطتك..

يتمتم «ميتشوم»: أنا أحمق تمامًا/ ب.

- بالضبط، فأنت تريد أن يتسلل راعي هو والفتاة التي لا نزال لم نتمكن من التأكد أنها ليست خطرًا بيولوجيًّا كارثيًّا؛ خاصة وهي آخر الباقين على سفينة المفترض أن تحمل أكثر من ألفي شخص على الأقل لكن دعنا نعود إلى موضوعنا.. سنهربها تحت جنح الليل.. طبعًا لا يوجد ليل أو نهار هنا.. لكن سنفترض أن الكون قد أظلم لنخرج سفينة مقاتلة بالتأكيد.. نضع فيها كلاهما، ليبحثا عن سفينة عمليات خاصة سرية أنت وحدك من تعرف موقع وجودها في القطاع...

يقول «ميتشوم» بإباء: ذلك لأسباب أمنية.

- بالطبع!.. تحتوي تلك السفينة على محطة طبية مصغرة يمكن إجراء عملية نزع الأحلام فيها.

- نعم ولا أزال أرى أن تلك فكرة جيدة، فهي على بعد أسبوعين، ونستطيع طلب الاقتراب منها لتلتقي بالمقاتلة على بعد يوم، ومن هناك سيستطيع كلاهما بعد العملية الولوج إلى النسيج المرمل والذهاب إلى الأرض مباشرة في صحبة فريق من العمليات الخاصة.

- امم.. امم.. في أثناء تخطيطك لتلك الخطة العبقرية أراهن أنك لم تراجع رسائلك الخاصة ببروتوكولات التفاوض التي نخوضها الآن مع الروافد.

يتنحنح «ميتشوم» قليلًا قبل أن يقول: حقيقة لا، أنا أثق في رؤيتك، وقدرتك على التفاوض.

تضم «سيڤا» يديها إلى صدرها وهي تقول: ثقتك غالية، وتشعرني بالحبور، وتؤكد لي أنك أحمق لعين.

تتغير ملامح وجهها مع آخر كلمة: يا سيادة رئيس الحمقى، نحن نرسل للروافد تقريرًا يوميًّا بكل المتواجدين على سفينتنا والمقاتلات التي في حوزتنا بتسليحها الكامل. ويمكنهم تأكيد تلك المعلومات دائمًا بالمسح الحراري اليومي الذي يجرونه على أسطولنا.

يعقد «ميتشوم» حاجبيه وهو يسأل: وهل نفعل المثل؟

تضم «سيڤا» شفتيها في خط مستقيم قبل أن تجيب: نعم يا سيادة رئيس القطاع، نحن نفعل المثل.

- هه.. كيف نفسر إذن وجود الفتاة؟

يقرر راعي أن يجيب عن هذا السؤال: الفتاة في غرفة العزل، لا تخرج من هناك أبدًا ولكن عاجلًا أم آجلًا سيأتي مندوب من الروافد إلى السفينة لتفحص غرف العزل.

يسقط في يد «ميتشوم» وهو يقول: اللعنة. إما أن نجلس

على مؤخراتنا وعندها سيجدون الفتاة، أو ننفذ خطتي وحينها لن يجدوا راعي.

تحدق «سيڤا» إلى الهواء قليلًا وكأنها تجري حسبة ثم تهز رأسها قائلة: نعم أعتقد... حقيقة لا أعتقد.. هل يمكنني الآن أن أكمل الفيلم؟ فهناك الكثير من النقاش الدائر على الإنترجيشن المحلي بخصوص هذا الفيلم وأخشى أن يحرق عليّ أحدهم نهايته وأضطر إلى تفجير مؤخرته في حادث مؤسف.

ينظر لها «ميتشوم» في حنق قبل أن يقف مزررًا سترته ومشيرًا لراعي باتباعه.

لتتناول «سيڤا» لوحها الإلكتروني لإكمال الفيلم ولكن قبل أن تضغط على زر التشغيل تنفرج شفتاها قليلًا متمتمة بشيء غير مسموع، ثم تلقي باللوح الإلكتروني بعيدًا مرة أخرى وتقول: لحظة، عودا بمؤخرتكما المشعرة إلى مقاعدكما.

يتبادل راعي و»ميتشوم» النظرات ويعودان إلى مقاعدهما قبل أن تنظر «سيڤا» إلى راعي وتقول له: أحب بذلتك، هل معك رقم الخياط الذي صممها لك؟ أحتاج إلى صُنع واحدة لصديقنا العزيز «ميتشوم».

***

الفصل الرابع

تحالف هش

جلست «سيڤا» في المكوك الذي يأخذها إلى محطة التحالف المؤقتة حيث تحدث المباحثات شبه اليومية بين الروافد والأرضيين.

كانت تحاول ألا تشغل رأسها بكل ما يدور الآن سواء على بعد سنوات ضوئية على الأرض أو قريبًا منهم حيث لا يزال الهرميون ساكنين، وسفينة الأجيال قد توقفت عن الإبحار في اتجاههم أو ما يحدث في الخفاء من خطة حمقاء شاركت في وضعها وتقع في حيز التنفيذ الآن، ووسيلتها في عدم التفكير كانت مشاهدة مقاطع فيديو منزلية لآخر غداء تناولته مع عائلة أختها، وابنة أختها الصغيرة التي تلتقط كل بذاءات خالتها كالمغناطيس.

ينتهي الفيديو الخطير فتكرره مرة أخرى ومرة أخرى فمرة أخيرة قبل أن يأتي صوت ضابط الاتصال قائلًا: الروافد يبعثون ببث قصير يتساءلون فيه عن سبب غياب «ميتشوم» عن اجتماع اليوم.

تغلق «سيڤا» لوحها الإلكتروني ثم تغلق عينيها متمتمة بكلمات خافتة لم يسمعها سواها أشبه بصلوات قبل أن تنتصب واقفة في طريقها إلى كابينة القيادة وهي تجيب

ضابط الاتصال: أبلغهم أن رئيس القطاع السابع «دونالد ميتشوم» قد فقدناه إثر حادث أليم، وفي الوقت الحالي سأقوم بتمثيل كل من الرئيس التنفيذي بصفتي المستشارة الخاصة له، وتمثيل القطاع السابع كتخويل مؤقت بإدارة القطاع حتى يتم الاستقرار على رئيس جديد.

يحتاج ردها إلى أقل من دقيقة أرضية ليصل إلى الروافد.

ليأتي رد الروافد على لسان ضابط الاتصال: نحتاج لتوضيح الظروف المحيطة للحادث المميت الذي تعرض له رئيس القطاع السابق.

لترد «سيڤا» عن فورها: قل لهم إن الأحمق أزعجني أثناء مشاهدتي لفيلم مثير؛ فاضطررت لقتله لأنعم ببعض الهدوء.

بقي ضابط الاتصال ثابتًا كتمثال محدقًا إلى «سيڤا» وحين طال الصمت تحدث قائلًا:

- أنتِ لا ترديننني حقًّا أن أرسل ما قلتِه للتو.. صحيح؟

لتلوي «سيفا» شفتيها قائلة: هذا ما يعيب العسكريين أمثالك، لا تملكون حس دعابة.. لا.. لا ترسل هذا؛ فلتخبره أن الراحل «ميتشوم» قد حاول الهروب بالصندوق الأسود المسترجع من سفينة الأجيال، ليعود به إلى الأرض.

ظنًّا منه أنه سينال حظوة الرئيس التنفيذي بخرقه

لمعاهدتنا؛ ولكننا اكتشفنا الأمر وأسقطنا سفينته كما أثق أنكم رأيتم ذلك على راداراتكم.

مر أكثر من عشر دقائق قدرت فيهم «سيڤا» كل الاحتمالات الممكنة قبل أن يجيء الرد بتأكيد أكواد الإنزال وأن الاجتماع سوف ينعقد في موعده.

كان من المزعج أن كل اجتماعات الروافد كانت تتم في بيئة معدومة الجاذبية، فذلك كان واحدًا من الشروط التي وضعوها عند بدء المفاوضات.

- سيدة «سيڤا»، نفترض أن أول بند يجب مناقشته الآن هو أنك تودين إخبارنا بأن الصندوق الأسود قد ضاع في انفجار سفينة رئيس القطاع.

جاءت تلك الكلمات على لسان المترجم العسكري، إذ إن الروافد قد طوروا لغتهم بشكل كبير اعتمادًا على الإشارة، حتى صارت كلماتهم المنطوقة غير مفهومة تمامًا لأي أرضي لم يبذل جهدًا كبيرًا في تعلمها.

انتهى المترجم من ترجمته بعد أن توقف الرافدي الجالس أمامها عن تحريك يديه وأصابعه الطويلة بشكل غير مريح.

إن الروافد يشكلون أبشع كوابيس البشر. فهم بشر وليسوا كذلك في الوقت نفسه. خلال آلاف السنين التي تطور فيها الإنسان توارثنا خوفًا غريزيًّا من أي شيء غير بشري ولكن يقترب جدًّا كشكل وهيئة من الشكل الإنساني؛ لذا في

نهاية القرن العشرين حين حاول البشر أنسنة الربوتات بوضع أوجه بشرية عليها لم تلق أي رواج؛ بل بالعكس، نفر منها الجميع بسبب هذا الخوف الغريزي مما يشبهك جدًّا ولكنه ليس بشرًا.

إن الروافد في هيئتهم قريبون جدًّا من أسطورة حضرية قديمة انتشرت في عصر ما قبل الإنترجيشن على الإنترنت؛ أسطورة الرجل الرفيع (Selenderman).

كان بعبعًا في هيئة رجل طويل الأطراف مصمت الملامح، وحين تقابله في ظلام الليل تكون تلك نهايتك.

كل هذا الرعب هو ظاهرة معروفة يطلق عليها «الوادي المجهول» (Uncanny Valley).

ورغم أنها غريزة في كل البشر؛ لم يستطع أحدهم يومًا أن يخبرنا سبب نشأتها، ما الذي أخاف جدنا الأول في كهفه لتلك الدرجة وكان يشبه البشر وليس ببشر، حتى يحفر هذا الخوف ليس في رأسه فقط، ولكن في جيناته وجينات البشر أجمعين.

طال صمت «سيڤا» قبل أن تشير لحارسها ليضع ما في يده أمامهم.

ألقى الحارس المرافق بعلبة معدنية في حجم قبضة اليد تجاه «سيڤا» التي التقطتها من الهواء ودفعتها لتقف ثابتة في الهواء أمامهم وهي تقول: بعد ذلك الحادث المؤسف

الذي تعرض له «ميتشوم» رأينا من الأفضل، ولمصلحة تحالفنا الوليد أن يبقى الصندوق الأسود في حوزتكم عوضًا عنا. لحسن حظنا أن الصناديق السوداء تصنع عادة من مواد غاية في المتانة تحافظ عليها حتى وإن دمرت السفينة بأكملها.

ثم وضعت على وجهها أكثر بسمة مزعجة غير حقيقية استطاعت أن تصطنعها.

أنهى المترجم نقل حديث «سيڤا» لينظر الرافدي لمساعده الذي يجلس بجانبه، ليخبره بشيء لم يهتم المترجم بنقله عبر عدة إشارات جسدية مزعجة أخرى ثم عاد بانتباهه لـ«سيڤا» ليسألها على لسان المترجم: حسنًا نحن لم نتوقع هذا، ولكن تلك الثقة التي تولونا إياها فجأة مقلقة. شيء ثمين كهذا تضعونه في أيدينا دون أي ضمانات!

بنفس البسمة المصطنعة تقول «سيڤا» من خلف أسنانها: عزيزي القائد لا توجد أي ذرة من الثقة؛ في الوقت الحالي كلانا طرائد في البرية الموحشة، ننتظر في صبر قيام المفترس القادم بحركته الأولى، ولكن شئت أم أبيت في هذا القطاع على الأقل نحن نملك الأفضلية من حيث القوة والتعداد. لو تأذى تحالفنا بأي شكل؛ فبكلمة واحدة من الرئيس التنفيذي نستطيع وضع مؤخراتكم المستطيلة على أسياخ، ونستعيد هذا الصندوق في أقل من يوم.

تردد المترجم للحظة في ترجمة تهديداتها، ولكنها حثته بقوة على ترجمة ما قالته حرفيًّا.

فإن الفضول كان يقتلها لترى كيف سيصنع بالإشارة المؤخرات الطويلة على الأسياخ.

***

مؤخرًا كانت هناك أسباب قليلة تدخل السعادة لقلب راعي؛ ومنذ أن انتقل للخدمة على السفينة «تيامات» فإن مسببات السعادة كادت تتلاشى؛ ولكن ذكرى واحدة ستدفئ قلبه وستضخ الكثير من السيروتونين لعقله لعدة أيام وإن لم يكن لسنوات.

وتلك الذكرى كانت رؤية «ميتشوم» يرتدي البذلة الصفراء البيولوجية ليدخل مكانه غرفة العزل متذمرًا ليمثل دور راعي حين تأتي دوريات الروافد عند قيامهم بالمسح الحراري، بينما ينطلق هو والفتاة الصغيرة على متن سفينة «سيڤا» الخاصة بالطاقم التنفيذي والحرس الخاص لـ»ميتشوم» في اتجاه سفينة العمليات الخاصة.

حاول راعي كثيرًا أن يعرف لماذا يكن كل هذا الامتنان لألم «ميتشوم» رغم أنه يرى الرجل مضحكًا في غطرسته أكثر من كونه مؤذيًا، ولكنه لم ينجح في العثور على إجابة، هو فقط سعيد أنه هنا في سفينة فارهة مخصصة لنقل الرؤساء التنفيذيين وأعضاء مجلس الإدارة، و»ميتشوم» في

غرفة العزل مقطوعًا حتى عن الإنتجريشن المحلي لتيامات بينما هو مدلل بمكتبة كاملة من الأفلام والألعاب والكتب المحملة على الإنتجريشن المحلي في طريقه لمهمة أخرى ستُسجل في التاريخ.

- فقرتان في كتاب تاريخ البشر. يمكنني أخيرًا أن أنعت محظوظًا.

كانت تلك اللحظة التي انطلق فيها جهاز الاتصال الداخلي بصوت واحد من مهندسي صيانة السفينة: سيادة الرائد.. سيادة الرائد.. نحتاج حضورك فورًا.. سيادة الرائد.. سيادة الرائد...

يطلق راعي سبة وهو يرتدي حذاءه مجيبًا على الاتصال: حاول أن تكون أكثر تحديدًا أين أنت الآن؟

- آه، نعم.. آاا.. غرفة المحرك.. سيدي.

ينطلق راعي في سرعة ليكون داخل غرفة المحرك بعد أقل من ثلاث دقائق ليجد في لقائه مهندس الصيانة الذي استدعاه يقف مرتجفًا ينظر بطرف عينيه للفتاة التي كانت مفتوحة الفم عن آخره بينما الضابطة الطبيبة المصاحبة للسفينة راكعة على ركبتيها تتفحصها.

- ما الذي يحدث بحق الجحيم؟

تلاحظ الفتاة وجود راعي فتشير له ملوحة بيدها ولعابها

قد بدأ في التساقط من طول فترة إبقائها لفمها مفتوحًا.

يكاد أن يلوح لها راعي بدوره، ولكنه يتوقف شاعرًا بالحماقة موليًا انتباهه للمهندس ليعيد سؤاله: ما الذي يحدث هنا!

- أقسم لك يا سيادة الرائد إنني لم أتوقع أنها ستقوم بفعل ذلك، كنا نتحدث وأنا أقوم بالصيانة الدورية في هذا الجزء (يلتف المهندس مشيرًا إلى الجزء المذكور) كما ترى يحتاج إلى نظرة قريبة لأن تلك الدائرة يتكون عليها عدد من الترسبات.

يقاطعه راعي في عصبية: اختصـ صـ..ر أيها الـمـ.. ملازم.

يستدير المهندس ليواجه راعي مرة أخرى وهو يقول بعينين زائغتين: لم.. لم أكن أتخيل.. لقد.. فقط.. تركت زجاجة التنظيف هنا.. و..

ينقل نظره بين الزجاجة البلاستيكية الفارغة التي يشير إليها وبين المهندس.

- اعتقدت في أول الأمر أنها انسكبت.. وأني نسيت إغلاقها، ولكن..

- لا.. لا.. لا.. لا لا..

يلقي راعي بجسده على ركبتيه وهو يمسك بكتف الفتاة

متفحصًا ملامحها بينما تعترض الطبيبة قائلة: سيادة الرائد من فضلك دعني أنهي فحصي.

يقول راعي بذعر: تلك مواد قاتـ.. تلة. تقتل شخصًا بالغًا في دقائق.

تزيح الطبيبة يد راعي من على كتف الفتاة، وتجذبها ناحيتها لتكمل فحصها وهي تقول: ذلك هو الأمر يا سيادة الرائد، فالفتاة تناولت هذا السائل منذ أكثر من ساعة أرضية.

ينظر راعي إلى المهندس الذي يهز رأسه في تأكيد وهو يتمتم: لم ألحظ إلا بعد أن انتهيت من صيانة جميع المحركات وعدت لأجمع معداتي.

كانت الطبيبة قد أنهت فحصها لتغلق فم الفتاة وهي توجه لها بسمة مشجعة قبل أن تقف على قدميها وتقول موجهة حديثها لراعي: الفتاة بخير، لا أرى أي ضرر قد أصابها.

غير مصدق يقول راعي وعيناه تتفحص كل شبر من وجه الفتاة الباسمة: أتظنين أن كشفًا ظاهريًّا مثل هذا يكفي؟ ألا تحتاج إلى مسح حراري.. أشعة.. ربما جراحة استكشافية؟

تهز الطبيبة رأسها نافية وهي تتجه ناحية الباب: لا.. هناك أوامر محددة بألا تتعرض الفتاة لأي فحص طبي أصلًا حتى تصل إلى الأرض. قمت بهذا الاستثناء على مسؤوليتي. أغلب الظن أن ذلك السائل كان مغشوشًا.

يأتي صوت المهندس معترضًا: ولكني استخدمه يوميًّا لتنظيف...

تقاطعة الطبيبة وهي تخرج للطرقة: مغشوش...

يصطحب راعي الفتاة لغرفته لتجلس بجواره على الأريكة متململة. تلتهم بعينيها الموجودات من حولها. يبحث راعي في وحدة الهولوجرام المعلقة على الحائط عن أي رسوم متحركة وما إن يجد ضالته حتى يشغله لها ويهم بالجلوس على المكتب تاركًا إياها، ولكن صوتها الصغير يأتي مقاطعًا خطته قائلة: رأيت هذا من قبل.

يتنهد راعي ويلتفت ليبحث عن فيلم رسوم متحركة آخر، ليشغله ولكن ما إن يبدأ حتى تقول الفتاة: رأيته.

فيجرب فيلمًا آخر...

- رأيته.

بعد عشرة أفلام يقرر تجاهل الرسوم المتحركة كلها، ويبحث عن أفلام تصلح للأطفال ليواجه الفشل نفسه الذي أصبح لعبة بالنسبة للفتاة وهي تخبره أنها رأت حتى الأفلام الكوميدية التي لا تصلح لعمرها بأي حال من الأحوال.

يجلس راعي على الأريكة بجوارها بادئًا في البحث عن أفلام الإثارة والمغامرات التي تفاجئه بأنها شاهدتها جميعًا.

بعد المحاولة الثمانين يضع راعي كلتا يديه على رأسه

وهو يقول: الآن أعلم أنك كاذبة.

تقطب الفتاة حاجبيها ثم تقول بغضب مصطنع: أنا لست بكاذبة، لقد رأيت كل هذا.

يقول وهو يشير بيده لشاشة الهولوجرام: هذا يفوق عدد الساعات التي قضيناها على متن السفينة. لم يكن هناك وقت كافٍ لمشاهدتها كلها أنت كاذبة.

تعقد الفتاة يديها الصغيرتين أمامها وهي تقول: أشاهد الأفلام على ثلاثة أضعاف سرعتها.

ثم تنطلق ضحكاتها وهي تقول: فهكذا تصير مضحكة أكثر.

- حسنًا.. دعينا من فكرة مشاهدة الأفلام كلها ما الذي تودين فعله؟

تبقي يديها معقودتين وهي تسلم ظهرها للأريكة لتفكر قليلًا ثم تهز كلتا كتفيها.

- هل تحبين الموسيقى؟

تهز رأسها بقوة.

- أنا أحب الموسيقى أيـ.. ضـضـ..ًا.

يجز على أسنانه لاإراديًّا ثم يقول: هل سمعت عن الكاريوكي من قبل؟

تتسع عيناها وهي تنظر له وتهز رأسها بالنفي.

- حسنًا.. أعتقد أن الوقت قد حان لأعرفك عليه.

يشرح لها سريعًا فكرة الغناء على ألحان الأغاني التي تحبها، ولكنه يكتشف سريعًا أنها كانت تستمع للأغاني هي الأخرى على سرعات عالية. فيحاول إفهامها أنه يقدر فضولها ورغبتها في التحصيل، ولكن الموسيقى تختلف، فالهدف من الاستماع لها ليس الحصول على معلومة، بل الاستمتاع بها لذاتها، وباللحظات التي تمر ونحن نغني أو نسمع الغناء. ثم يبدأ في غناء بعض النهمات القديمة التي يستمتع زملاؤه بغنائه لها. يشدو بنهمة بحرية قديمة.

تتعلق الفتاة بكل كلمة منها بانبهار وتضحك وتصفق في جذل فور انتهائه مطالبة إياه بإعادتها مرة أخرى، وفي المرة الثانية تبدأ في الغناء معه دون أن تخطئ في نغمة أو كلمة ليجد أنه يشاركها الجذل والابتسام في نهاية النهمة، وما إن ينهيها حتى يبدأها مرة أخرى في حماس أكبر حتى يأخذه التعب ويجلس وهو يضحك ضحكة صادقة لم يتخيل مشاركتها مع تلك الفتاة العجيبة.

بعد خفوت الضحكات ينظر راعي للفتاة بجدية ويسألها: أيتها الفتاة.

- نادني بـ«تالي».

- ماذا؟

- نادني بـ«تالي».

تقول له ببساطة.

يسكت راعي للحظة قبل أن يقول لها: سـ سألناك ما لا يقل عن مئة مرة عن اسمك، وظللتِ تخبريننا أنكِ لم تولدي بواحد.

تهز رأسها في حماس وهي تقول: نعم، ولكن اسم «تالي» يعجبني، فهو اسم الطبيبة التي كانت تتفحصني في غرفة المحرك حين كنت مع صديقي «رينيز»، وأريد أن أكون «تالي» أنا الأخرى. فقد أكدت لي أن شخصين مختلفين يمكن أن يطلق عليهما الاسم ذاته.

يحتاج للحظة ليستوعب كل ما تقوله له الفتاة وقد كان هذا أطول حديث قد دار بينهما منذ أن قابلها على سفينة الأجيال قبل أن يهز رأسه موافقًا وهو يقول: بالطبع يا «تالي»، وهو اسم جميل بالمناسبة.

تبتسم الفتاة التي صارت «تالي» بفخر وهي تقول: أشكرك، و»رينيز» هو المهندس الفني الذي كان بصحبتك...

تهز رأسها بإيجاب، ليكمل راعي سؤاله: جيد، هذا ما أردت سؤالك عنه، حين كنتِ مع «تيمز» تناولت سائلًا سيئًا للغاية، مؤذيًا في الحقيقة.. كيف تمكنت من فعل ذلك دون

إيذاء نفسك؟

نظرت له «تالي» طويلًا قبل أن تدير رأسها وتتناول كأسًا زجاجية موضوعة على الطاولة بجانبها لتلقي بها على الأرض بقوة.

ليصرخ راعي: «تالي» هل جننت!

تقول «تالي»: آسفة.

يركع راعي ويمد يده بحرص ليلتقط الزجاج المتناثر على الأرض وهو يقول: لا يمكنك أن تقومي بحماقة كتلك ثم تقولين آسفة.

تشرئب «تالي» بعنقها وهي تتأمله وهو يلتقط قطع الزجاج وهي تقول: ما الذي علي قوله إذن؟

ينفخ راعي في غضب وهو يجلس واضعًا الزجاج في السلة المجاورة للأريكة: نعم، يجب عليك الاعتذار، ولكن لا تقومي بمثل تلك الحماقات.

- كنت أحاول أن أجيبك عن سؤالك.

ينتبه راعي ناظرًا إليها: ماذا؟

تسأله «تالي»: كيف لم تتأذَّ من الزجاج المكسور برغم أنه يمكنه جرح جلدك؟

يهز راعي كتفيه وهو يقول: كنت حريصًا وأنا ألتقطه من

على الأرض.

لتقول «تالي»: وأنا أيضًا. حين شعرت بأن هذا السائل مضر أخبرت جسدي أن يكون حريصًا وهو يهضمه.

احتاج طاقم مركبة راعي إلى عدة ساعات بعد الوصول لموقع اللقاء بسفينة العمليات الخاصة لتحديد موقع السفينة التي غاب وجودها عن أجهزة الرادار، ولم يكن لدى راعي وطاقمه رفاهية إرسال بث عام لطلب مساعدة سفينة العمليات الخاصة في تحديد موقعهم، ولكن في النهاية تمكنوا من الاقتراب بشكل كافٍ من موقع تواجد سفينة العمليات الخاصة لربط قناة اتصال محلية نسقوا من خلالها برتوكول الإنزال على السفينة.

كانت أوامر سفينة العمليات الخاصة واضحة في أن المكوك الذي سيحط عندهم يجب أن يكون راكبوه هم راعي و»تالي» فقط، ولن يقبلوا وجود أي فرد آخر على سفينتهم.

كان راعي ليفضل أن تصحبهما «تالي» الكبيرة؛ فهي من تابعت الفتاة على مدار الرحلة، ويمكنها أن تكون أكثر دقة في وصف الحادثة التي تعرضت أو بالأحرى عرضت «تالي» نفسها لها.

ولكن لا مجال للمزاح مع العمليات الخاصة.

استعد راعي للارتحال من سفينة «سيڤا» الفخمة المجهزة بكل وسائل الراحة التي لم يرها حتى يومًا على سفينة

مدنية، «ولكن تلك ضريبة البطولة» فكر في هذا وهو يبتسم ساخرًا.

فبرغم كل شيء ما زال يعتبر نفسه محظوظًا. ودعت «تالي» الصغيرة «تالي» الكبيرة بعناق حار وتلويحة حماسية لـ«رينيز» مهندس الصيانة قبل الانضمام لراعي في المكوك الذي أغلق عن فوره، وفي أقل من دقيقة كان في الفضاء يتجه إلى سفينة العمليات الخاصة الضخمة التي تنتظرهما.

على عكس المعتاد من السفن لم يكن هناك أي بيانات على جسد السفينة الخارجي، ولكن راعي كان يعرف أن اسم السفينة هو «سيمرغ».

بعض من الحماس شعر به راعي كون هذا سيكون لقاؤه الأول مع مقاتلي العمليات الخاصة الذين يحكي عنهم أساطير في الأكاديمية.

يحط المكوك في مرفأ السفينة، ويبدأ في مدخل المرفأ في الانغلاق. ليلمح راعي شيئًا بطرف عينه في الفضاء خارج السفينة، يحاول راعي استخدام المكبر في خوذته ليتوضح ما رأى ليتوقف فجأة حين يرى الانفجار الصامت الذي يحدث أمامه خارج السفينة، والذي كان مصدره سفينة «سيڤا».

***

تحاول «سيڤا» أن تكون لحنًا ما بطرقات أظافرها على المنضدة في غرفة العزل وهي تجلس في انتظار أن يقوم «ميتشوم» بحركته على رقعة الشطرنج المرصوص أمامه ليقول «ميتشوم»: لن تستطيع ألعابك النفسية إجباري على أخذ حركة غير مدروسة.

تطلق «سيڤا» زفيرًا مطولًا قبل أن تقول: تحتاج إلى دهرٍ لتقرر حركاتك يا «ميتشوم»، ذلك ممل للغاية. تلك اللعبة مملة للغاية. حياتي مملة للغاية.

يبتسم «ميتشوم» بسمة أبوية سمجة وهو يقول: تلك لعبة ملوك الماضي، وكل القادة العسكريين الناجحين...

لتنفجر «سيڤا» قائلة: «ميتشوم» أيها الأحمق نحن لسنا قوادًا عسكريين، ألم تسمع يومًا عن ألعاب الفيديو أو ألعاب المحاكاة؟ أو حتى لأن تلعب بجسدك؟ ما رأيك أن أتركك قليلًا للاستمناء؟

يحمر وجه «ميتشوم» في مزيج من الخجل والغضب: لا تزالين تمارسين الألعاب العقلية، سأحرك الطابية.

ينطلق صوت الإنذار في غرفة العزل لتنطلق «سيڤا» إلى خارج الغرفة قبل أن يرفع «ميتشوم» رأسه من على لوحة الشطرنج. تلتقي بحارسيها عند مدخل غرفة العزل ليهزوا رأسهم بالنفي حتى قبل أن توجه سؤالها عن سبب الإنذار.

تطلق ساقيها للريح في اتجاه غرفة القيادة، والحراس

يتبعونها. كانت هناك حالة كبيرة من الهرج وكل ينتقل إلى موقعه المطلوب في حالة الإنذار، ولكنه كان هرجًا منظمًا بشكل ما واضح أنه تم التدريب عليه مئات المرات. بينما كان ركض «سيڤا» وحارسيها في الطرقات بينهم متغيرًا لم يكن في الحسبان مما تسبب في الكثير من العرقلة، ولكن في النهاية تقترب «سيڤا» من غرفة القيادة لتجد الضابط الأول خارجًا منها يركض في اتجاهها يتبعه ملازم وهو يشير لـ«سيڤا» أن تغير اتجاهها.

تقف «سيڤا» للحظة حتى يصل الضابط الأول ليقول لها: سيادة المستشار «سيڤا» نحتاج إلى أن نضعك في غرفة آمنة الآن. أنت و.. آ... آ... من في غرفة العزل.

لا يترك لها فرصة للحديث؛ يجذبها من يدها في اتجاه الغرف الآمنة التي تتصل مباشرة بالمرفأ في حالة احتياجهم للوصول إلى مراكب الإنقاذ سريعًا.

يشير الضابط الأول إلى الملازم حين يمر بغرفة العزل لينفصل عنهما لإحضار «ميتشوم»؛ بينما يستمران في الركض حتى يصلا إلى الغرفة الآمنة فيدفعها الضابط الأول لداخل الغرفة لتسأله: ألن ننتظر «ميتشوم»؟

يهز رأسه قائلًا: لا.. سنضعه في غرفة مختلفة.

ثم يضغط على تجويف الحائط الذي يغلق الغرفة.

تلتفت «سيڤا» لتتأمل الغرفة لتجد وحدة هولوجرام

تومض باللون الأحمر فتتوجه لها ضاغطة على أمر استقبال المكالمة ليظهر أمامها قائد السفينة قائلًا: سيادة المستشار «سيڤا» هذا خط آمن، هل تم تأمينك في غرفة النجاة؟

تهز «سيڤا» رأسها: نعم، ما الذي يحدث؟ هل تحرك الهرميون في اتجاهنا؟

- لا، سيدة «سيڤا».. لقد انقلب علينا الروافد. إنهم يهاجموننا في كل القطاعات الآن.

***

الفصل الخامس

آخره لحن حزين

- هناك رسالة.

يأتي صوت «تالي» لينتشل راعي من نوبة الهلع التي كادت تصيبه.

لاهث الأنفاس يلتفت لـ»تالي» قائلًا: «تالي»! أنت بخير!

تهز رأسها في عدم فهم، وتشير بيدها إلى الشاشة الهولوجرامية التي ينطلق راعي ناحيتها ليستقبل البث.

على شاشة البث يرى ضابط اتصال سفينة «سيقا» يصرخ: راعي، لقد التقطت مجساتنا عدة مقاتلات رافدية داخل مرفأ «سميرغ»، إنه فخ... عد بالمكوك فورًا. أسلحة «سيمرغ» تستهدفنا، عُد...

ثم ينقطع الإرسال.

للحظات يتوقف الزمن براعي.. لقد أوقع الروافد بهم وهم من ظنوا أنهم أكثر ذكاءً، كل أحلام البطولات تنهار الآن ثم يسمع صوت «تالي».

- راعي، هل أنت بخير؟ أنت ترتجف.

«اللعنة على البطولات، تلك الفتاة هي هدفهم.. تلك الفتاة هي مهمته، لن يصيبها سوء إذا سلم نفسه لهم لن

يحاولوا إطلاق النار عليه ولن تتأذى الفتاة، سنحيا ليوم آخر ربما يستطيع الأرضيون إرسال من ينقذهم.. حسنًا.. ذلك هو التصرف السليم».

- «تالي»، تعالي هنا، فلتقفي ورائي وسنتحدث مع السادة القادمين لأخذنا بكل هدوء، ستكونين بأمان. أتثقين بي؟

تنظر له في حيرة، ثم تهز رأسها بقوة.

ينظم راعي أنفاسه ويتمتم لنفسه: راعي لا تأتأة، راعي لا تأتأة.. هذا ليس موضع تلعثم.

حينها تنطلق الرصاصات ضاربة المكوك من جميع الاتجاهات ليحتضن «تالي» ويلقي بجسديهما على الأرض غريزيًّا.

- اللعنة، أبناء العاهرات، لا يريدونها حية إذن.

يزحف سريعًا مشيرًا لـ«تالي» بأن تبقى مكانها على الأرض.

يمد يده في كابينة الأسلحة متناولًا سلاحًا، ويتأكد من ذخيرته ثم يعود لـ«تالي» طالبًا منها ألا تبتعد عنه وتبقى خلفه طوال الوقت.

ارتطامات متعددة في جسد المكوك قبل أن يجد سلاحًا حراريًّا يذيب مدخلًا في جسد المكوك.

ينظم راعي أنفاسه واللحظة التي يسقط فيها الجزء الخارجي من درع المكوك يرى الروافد في تشكيل غير مألوف يقفون على الأرض.

ترتعش بسمة على وجهه وهو يفكر: قتال بوجود عامل الجاذبية.. حسنًا؛ نقطة واحدة في صالحي.

ثم يطلق النيران على هيئة دفقات نصف أوتوماتيكية؛ حيث ينال كل من الواقفين ما لا يقل عن ست رصاصات في نقاط مختلفة، ومع ثالث دفقة يستطيع راعي تحديد نقاط ضعف دروعهم ليغير بلمسة آلية الإطلاق لتصبح طلقة واحدة مع كل ضغطة زناد، وكل ما يحتاج إليه هو طلقة لكل رافدي ليخلي طريقًا للخروج.

يضع «تالي» على كتفه وينطلق في خط متعرج آملًا ألا يطلقوا النار بمجرد خروجه من جانب لا يراه وهو قد اعتمد ألا يسقط كل تشكيل الروافد الواقف حتى يجعل الأمر صعبًا على أي مقاتل ينتظره في الجانب الآخر أن يصيبه دون قتل زملائه.

ينطلق في طريقه ولا تأتي الرصاصات فلا يعرف إن كان تقديره صحيحًا أم التشكيل بأكمله كان ينتظر كالحمقى أمام نقطة الاختراق.

لا يجد وقتًا للتفكير لأن رصاصة تأكل جزءًا من لحم ساقه وهو يركض ليطلق صرخة عالية وهو يحاول الحفاظ على

اتزانه ولكن حمله لجسد «تالي» يجعله يختل واقعًا؛ ولكنه يحرص على احتضانها كيلا تتأذي.

لا يتوقف ليرى مصدر الطلقات؛ فالطلقات بدأت أن تصبح سخية من جميع الاتجاهات.

يدفع بجسد «تالي» خلف وحدة صيانة، ويزحف على ركبتيه ليتبعها، يحاول التقاط أي إشارة إنتجريشن متبقية على السفينة لتفعيل خوذته؛ حتى يتمكن من تحديد مواقع الروافد، ولكن بالطبع قد قطعوا كل الإشارات.

يمسح بعينيه المرفأ ليجد أن هناك ممر صيانة خلفه، ولكنه ممر ضيق يسع درونات الصيانة فقط. يجري عليه نازعًا غطاءه ويشير لـ«تالي» التي تزحف بسرعة بجسدها الضئيل وهي ترتعش ليحملها واضعًا إياها داخل الممر.

- انطلقي بعيدًا عن هنا وسأجد طريقة لإيجادك بعد أن أقضي عليهم جميعًا.

يحاول إعطاءها بسمة مشجعة قبل غلق المدخل من خلفها، ويلتفت ليرى ما لا يقل عن عشرة روافد يطلقون على موقعه النيران ولا يمنعهم عنه سوى المقاتلات المتراصة في المرفأ. ولكن من أسفل المقالات كان يمكنه رؤية بعض الأقدام المفلطحة تأتي في اتجاهه.

يرتمي على بطنه ليصطاد ما يستطيع من تلك الأقدام، ثم يغير موقعه خلف مجموعة مقاتلات مختلفة حتى يلمح

مقاتلة لا تنتمي للعمليات الخاصة مباشرة أمامه، والكابينة الخاصة بها مفتوحة.

بالطبع الوصول لها سيحتاج إلى التخلي عن ساتره من صف المقاتلات، لم يتردد كثيرًا وانطلق في العراء في اتجاه المقاتلة فاتحًا نيرانًا عشوائية تجاه الروافد، كان نصيبه من تلك المغامرة ثلاث رصاصات اخترقت كل من ذراعه، ونفس القدم التي أصيبت من قبل، بينما خاب مصاب باقي ما استهدفه.

يلقي بجسده على السلم المؤدي إلى المقاتلة وهو يقول: لو كان أوغاد العمليات الخاصة يستخدمون أكواد أسلحة مختلفة ستكون تلك نهايتي.

ثم يدفع بجسده داخل المقاتلة ولا يحاول إغلاق الكابينة حتى قبل أن يدفع بأكواد تفعيل الأسلحة الثانوية.

يكاد يصرخ فرحًا حين تتحول الأزرار إلى اللون الأخضر وتبدأ في تحديد الأهداف ليضغط فورًا على زر الإطلاق وهو يصرخ موجهًا كل حصيلته اللغوية من الشتائم.

احتاج الأمر لأقل من دقيقتين لتظهر في المقاتلة أنه لا أثر لوجود أي نقاط حرارية في المرفأ.

يلتقط راعي أنفاسه لعدة ثوانٍ ثم يفتح حجرة السلاح داخل المقاتلة ليأخذ ذخيرة جديدة قبل أن يترجل منها في اتجاه فتحة الصيانة التي خبأ فيها «تالي».

ما إن يصل إلى فتحة الصيانة حتى يجد صاروخًا صغيرًا قد انطلق ولكن لحسن الحظ ليس في اتجاهه، بل في اتجاه المقاتلة التي كان فيها.

- اللعنة لقد أرسلوا دعمًا، ولكن لحسن الحظ لم يروا أني ترجلت من المقاتلة، سيمنحني هذا بعض الوقت.

يفتح راعي فتحة الصيانة بيد واحدة بصعوبة، يبحث في الظلام عن «تالي» أو أي شيء آخر، لكن الممر كان خاليًا تمامًا.

ينظر حوله ليتأكد أنها لم تخرج من الممر، ولكنه يتأمل غطاء الفتحة التي في يده ثم يهز رأسه ويلقيه أرضًا متناولًا سلاحه ليرى أقرب بوابة يمكن الخروج منها من المرفأ.

عاضًّا على شفته السفلى مانعًا حلقه من إخراج أي صرخات ألم يعرج راعي إلى البوابة التي تنزلق أتوماتيكيًّا لتسمح له بالمرور ولكن بصوت أعلى من اللازم ليتبعه هذا طلقات تأتي من الروافد الذين اكتشفوا أنه لم يكن في المقاتلة المحترقة.

لا يتوقف راعي وهو يحاول استيعاب مخطط السفينة ليحسب أين يمكن أن يكون مخرج الصيانة التالي راسمًا بكفه على حائط الممرات خريطة دامية وهو يتمتم: ليس جيدًا.. كل تلك الدماء ليست بالأمر الجيد.

يرى أخيرًا فتحة ممر صيانة أمامه ليعرج في سرعة تجاهها نازعًا الغطاء ليجد درون صيانة مغلقًا أمامه.

يسحب راعي الدرون ملقيًا إياه أرضًا، وبمؤخرة سلاحه يطرق داخل ممر الصيانة وهو ينادي: «تالي».. «تالي».. أين أنت يا فتاة؟.. أين أنت يا فتاة؟...

ثم يتبعه بطرقات أخرى، يأتي صوت يجعله يتنفس الصعداء.

- راعي؟ أنا قادمة.

ومن ظلام الممر يبزغ وجه «تالي» المرتبك ليجذبها مخرجًا إياها من الممر معانقًا إياها وهو يقول: هل أنت بخير يا صغيرة؟

قبل أن تجيبه يلتفت ليراه أمامه.. رافدي يقف في نهاية الطرقة بالضبط موجهًا سلاحه ناحيته.

لطالما قيل لراعي إنك تشعر بالرصاصة قبل سماع صوتها، سمع راعي صوت الرصاصات لكنه لم يشعر بشيء.. ليس على الفور على الأقل.

يحتاج لعدة لحظات ليشعر بالدماء الدافئة تسيل على يده من ظهر الفتاة التي يحتضنها.

يطلق راعي خزانته كاملة تجاه الرافدي صارخًا دون أن يحاول حتى النظر إلى وجه الفتاة.

يحتضنها بقوة معتصرًا جسدها الصغير المرتعش ويسجيها أرضًا هامسًا باسمها.

- «تالي»؟

أصوات أقدام مفلطحة تعلو في الممر، قادمة في تجاههما، ليصرخ راعي مرة أخرى: «تالي»...

تهمس «تالي» قائلة: لا.. تـ.. تـ.. خف.

قبل أن تغمض عينيها.

***

جاء صوت «سيڤا» عبر القناة الثلاثية المؤمنة بينها وبين «ميتشوم» وقائد السفينة «تيامات»: كيف تسلل كل هذا العدد من المقاتلات وسفن الدعم دون أن نلحظ؟

- لا نملك أدنى فكرة يا سيادة المستشارة. ما يمكننا التأكد منه أن النسيج المرمل لم يُفتح بأي شكل من الأشكال منذ أن حطت سفن البعثة الأرضية التي تحملك.

يضم «ميتشوم» صوته لـ«سيڤا» وهو يقول: إذن كيف تفسر ما يحدث الآن من تفوق عددي؟ بالتأكيد لم يصنع الروافد تلك المقاتلات في باحتهم الخلفية خلال الشهور الماضية.

يقول القائد بنفاد صبر: سيادة الرئيس، سيادة المستشارة، أحتاج الآن إلى أن أصب كامل تركيزي على إنقاذ ما تبقى

من الأسطول قبل أن نتباحث في كيفية حدوث هذا الهجوم المفاجئ.

تكاد «سيڤا» أن تقول شيئًا آخر قبل أن تقاطعها إشارة استقبال بيانات طارئة.

دون استئذان تحول القناة لتستمع إلى ما جاء في البيانات الطارئة ثم تعود عن فورها بوجه ممتقع إلى القناة المؤمنة مع «ميتشوم» والقائد.

- ما الذي حدث؟ ما الذي تلقيتِه؟

كان هذا «ميتشوم» لترد «سيڤا»: لقد فشلنا.. السفينة الخاصة بي قد دُمرت، لقد فقدنا راعي والفتاة.

ليتمتم «ميتشوم»: وطاقمي الخاص...

تصرخ «سيڤا» بسخرية مريرة: أعتقد أننا سنستطيع توفير طاقم جديد لخدمة سيادتك في حال نجونا من هذا الهجوم.

لينفجر «ميتشوم» بطريقة لم يرها أحد من قبل صارخًا: بعض أفراد هذا الطاقم صاحبوني منذ أن كانوا شبابًا، منهم من أعتبره عائلتي؛ فتوقفي عن كونك عاهرة متذاكية.. اللعنة عليك، وعلى الشركة، والفضائيين وتلك الحرب، فلتذهبوا جميعكم إلى الجحيم.

ثم ينهي الاتصال من جانبه.

يستمر الصمت للحظات غير مريحة قبل أن يسأل القائد:

نحن الآن في وضع انسحاب.. أي أولويات يجب أن نضعها في الحسبان؟

تعض «سيڤا» على شفتيها قبل أن تقول: الأولوية الأولى هي الحفاظ على الأرواح.

- عُلم، ولكن أود تذكيرك أن أولوية الرئيس التنفيذي والشركة ومجلس الإدارة هي الحفاظ على القطاع. فبصفتك الممثلة الرسمية.. أسألك مرة أخرى.. هل تودين تعديل الأولويات؟

دون تردد تجيب «سيڤا»: نعم، الأولوية القصوى هي الحفاظ على الأرواح.

- إذن، برجاء الاستعداد لدخول النسيج المرمل.

تنهي «سيڤا» الاتصال وتقف حائرة لدقيقة، ثم تضغط على زر الاتصال المؤمن ولكن تلك المرة في اتجاه واحد لتتواصل مع «ميتشوم».

يظهر «ميتشوم» على الهولوجرام وهو يقول في رسمية: سيادة المستشارة...

حتى من صورة الهولوجرام كان يمكن لـ«سيڤا» رؤية آثار خيط الدمع السائل على وجنتيه واحمرار مقلتيه.

- «ميتشوم»، أنا آسفة على مصابك، تعازي، وأعتذر على كوني عديمة الإحساس وغير قادرة التمييز في بعض

الأحيان.

يطلق «ميتشوم» زفرة ساخرة وهو يقول: بعض الأحيان؟

تهز «سيڤا» رأسها وتقول: معظم الوقت.

يغلف الصمت كل شيء لدقيقة كاملة قبل أن يسأل «ميتشوم»: ما الذي سيحدث الآن؟

تقول «سيڤا»: أعتقد أن القائد سيحاول إعادة أكبر قدر من المقاتلات لتيامات قبل أن يفتح النسيج المرمل. أكره السفر عن طريق النسيج.. إنه صعب حقًّا، ولكنه فتح لنا أبواب الكون.

يهز «ميتشوم» كتفيه قبل أن يجلس وهو يقول: حتى هنا وفي القطاع السابع أبعد ما وصلنا له لا أزال أرى أننا أصغر بكثير من أن نكون قد استوعبنا نقطة من حجم الكون.

- «ميتشوم»، لا تقلل من مقدار الكائنات الصغيرة؛ فمنها يتكون الكون كله.

- امم، فلسفة فارغة.

صمت آخر قبل أن يسألها «ميتشوم»: هل فعلت شيئًا يومًا ما لإهانتك؟

تبتسم «سيڤا» وهي تقول: لن تصدقني لو قلت لك إنك من الأشخاص المفضلين لي الآن. أنا أسوأ بكثير مع الآخرين.

- هل هناك سبب جيني لذلك؟ متلازمة توريت تجري في عائلتك؟

تضحك «سيڤا» ضحكة عالية قصيرة لا تتناسب مع الموقف لكنها ضحكة صادقة وهي تقول: مرت قرون ولكن بعض الأشياء لا تتغير، ربما لم يعد هناك تفرقة بين أجناس الأرضيين، ولكن لا يزال العمر عائقًا دائمًا، ففي العشرين لا أحد يأخذك بجدية، وفي الثلاثين والأربعين لا أحد يحبك، وحين تصل إلى الخمسين فأغلب الظن أن عقلك سيكون قد شُبِّع بما تلاه عليك من سبقك من العواجيز، وتصير في طريقك لتكون أنت من تنظر باستخفاف إلى الشباب الذي يليك.

- والسباب البذيء يجعل الآخرين يأخذونك بجدية؟

- على الأقل أجذب اهتمامهم، ويستمعون إلى ما لدي قبل أن يتجاهلوه.

يبتسم «ميتشوم» وهو يقول: نظرية عظيمة.

يقاطعهما صوت القائد عبر البث الداخلي للسفينة بأكملها وهو يعلن الحالة «ن».

«نحن على وشك دخول النسيج المرمل.. الحالة «ن».. نحن على وشك دخول النسيج المرمل.. ستسري الأحلام في دروع «تيامات» خلال عشر.. تسع.. ثمان..».

تقوم «سيڤا» منتفضة: مستحيل أن تكون جميع المقاتلات قد عادت إلى المرفأ.

يقول لها «ميتشوم» بمرارة: لا بد من قتل مقاتلات ومدمرات خلفنا لتأمين دخولنا النسيج، تلك تضحيات لا مفر منها.

«ثلاثة.. اثنان.. واحد... أحلام سعيدة».

***

الفصل السادس

الوعاء الخاوي

كانت الفكرة الوحيدة التي تدور بخلد راعي الآن أن من صنع تلك الخوذات لم يضع في حسبانه بكاء المقاتل الذي يرتديها.

كيف يسهون عن شيء مثل هذا؟! ألا يعتقدون أن المقاتلين بشر وأنهم سيبكون كثيرًا وطويلًا؛ لطالما اختاروا أن يكونوا طرفًا في حرب.

ينزع راعي خوذته ليمسح وجنتيه من أثر الدموع ويكتشف أنه قد زاد الطين ابتلالًا بتلويثه لوجهه بالدماء.

حقًّا لا يدري إن كانت دماءه أم دماء «تالي»، أو ربما اختلطت دماؤهما سويًّا، والآن تختلط بدمعه أيضًا.

وجه ملطخ بالدماء في مواجهة الموت أفضل من وجه باكٍ. لن يرتجف في مواجهة أولئك الأوغاد. سيقف ثابتًا، لن تكون كلماته الأخيرة متلعثمة، سيحرص على ذلك.

لم يكن يدري كيف يمكنه ضمان ذلك، ولكن قبل لحظات من ظهور أول الروافد بدأ في دندنة نهمة من نهماته.

يعلو صوته بالنهمة، ويرفع الروافد أسلحتهم تجاهه وقد تهيؤوا لإطلاق النار.

لم يكن وقوف جسد «تالي» المفاجئ هو ما أجفله بقدر ما كانت التغيرات المفاجئة التي طرأت على جسدها، الذي ظنه خاليًا من الحياة منذ لحظات.

تقف أمامه مولية ظهرها للروافد، فاتحة ذراعيها وكأنما تدعوه للعناق، ثم بدأ جسدها في التمدد.. كقطعة عجين لينة تمدد جسدها وتمدد وتغير لونه حتى اقترب من أن يصير شفافًا.

اختفت ملامحها وصار ما يفصل بينه وبين الروافد -الذين تجمدوا في أماكنهم- كتلة من المطاط الشفاف، بل أكثر غلاظة منه قبل اكتمال الفكرة، وكشبكة صيد انطلقت الكتلة الشفافة لتلتف حول جسد راعي وتزداد غلاظة ملتفة لتغطية بالكامل لتصير مثل شرنقة داكنة من الزجاج السائل.

تتشكل على جسده مكونة بذلة بيضاء، ثم تظهر طبقة جديدة رمادية اللون فوق الطبقة البيضاء، صُبغ جزء منها بخطوط حمراء، وتبقى فقط مساحة أمام عين راعي بنفس اللون الزجاجي الداكن الشفاف، وحينها يسمع صوت «تالي»: راعي، لا تخف.. سأقوم بحمايتك.

يرسل صوتها دفقات جديدة من الأدرينالين في دمه، وكان الروافد قد بدؤوا في التحرر من المفاجأة ليفتحوا النيران، حاول راعي للوهلة الأولى تفادي الطلقات، ولكنها على هذا

المدى القصير قد أصابت هدفها تمامًا.

كل الطلقات ارتطمت بالدرع الجديد الذي يحيط براعي لتسقط أرضًا.

تتوقف دفقات الرصاص المتطايرة في محاولة من الروافد لتغيير الطلقات إلى ذخيرة تخترق الدروع، ولكن توقفهم كان يكفي ليبدأ راعي في الحركة.

يركض راعي تجاههم متجاهلًا ألم قدمه ليأتي صوت «تالي»: تريد الذهاب في هذا الاتجاه؟

ثم يشعر بدفعة في جسده إلى الأمام لم يتوقعها بقوة هائلة.

لا يوقف انطلاقته إلا جسد رافدي يلتقي جسداهما ليسقطا أرضًا سويًّا.

يسحب راعي من يده السلاح ويلتفت هامًّا بالوقوف ليجد أقرب الروافد له قد بدل ذخيرته بالفعل ويوجه سلاحه مطلقًا رصاصتين في صدره.

تلك المرة شعر راعي بالرصاصات لم تخترق الدرع ولكن كادت أن تحطم عظام صدره.

عالمًا أنه لن يستطيع استخدام السلاح المسجل بالشفرة الجينية لحامله الذي صنعه أرضًا؛ يستخدم مؤخرة السلاح ليدفع بها في وجه الرافدي الذي أطلق عليه النيران.

ويبدأ في عد المقاتلين من حوله.. أربعة مقاتلين لا يزالون على أقدامهم، وواحد على الأرض جُرد من سلاحه.

ضربة أخرى بمؤخرة السلاح موجهة لرأس الرافدي لتحطم خوذته، وتظهر ملامحه المشوهة فيلحقه راعي بضربة أخيرة تهشم جمجمته بسهولة في اللحظة نفسها التي يشعر أنه يتلقى الطلقات من كل مكان، ليأتي صوت «تالي» قائلة: أنت تحتاج إلى سلاح حاد أكثر من هذا.

يشعر راعي باهتزاز في يده، ليجد أن الدرع على يمناه قد تمدد متحولًا لسائل للحظات ثم صار سيفًا حادًّا.

يلتفت راعي ملوحًا بالسيف الذي يفاجئ الرافدي الأقرب له مارًّا عبر جسده دون أدنى مقاومة قاطعًا سلاحه إلى نصفين في حركة راعي نصف الدائرية.

يكمل راعي انطلاقته تلك المرة موجهًا نصل السيف إلى منتصف كتلة الرافدي الذي يليه، ليأتي صوت «تالي» قائلًا: راعي، تحتاج إلى محاولة تفادي تلك الرصاصات، فلن نستطيع احتمالها للأبد، ولأكون أكثر وضوحًا؛ لن نستطيع احتمالها لأكثر من عشر ثوانٍ، ثم سيبدأ درعك في الانهيار.

يحاول راعي أن يدور على عقبيه مستخدمًا الرافدي الذي غرس السيف به كدرع، ولكنه يسيء تقدير مدى حدة السيف لينقسم الرافدي إلى نصفين.

لا يتوقف راعي متقدمًا في اتجاه من تبقى من الروافد، ما إن يغرس سيفه في رأس الثالث حتى ينطلق الأخير هاربًا لا يلوي على شيء.

لا يحاول راعي مطاردته، بل يستدير لينطلق في اتجاه مرفأ السفن.

مرة أخرى يأتي صوت «تالي»: تحتاج لأن تتحرك في هذا الاتجاه؟

ثم دفعة أخرى وراعي يصرخ قائلًا: لا.. لا.. لا.. لا...

يحاول راعي الحفاظ على توازنه بأي طريقة، وقوة الدفع تزداد حتى يتمكن من النطق قائلًا: «تالي».. «تالي».. توقفي عن هذا.

تتوقف قوة الدفع فجأة ليسقط راعي متدحرجًا على الأرض داعيًا ألا يقطع جسده بالسيف البارز من يده.

ما إن يثبت جسده على الأرض حتى يأخذ نفسًا عميقًا ثم يقول: «تالي» أنا لا أفهم ما الذي يحدث! ولا يوجد وقت للفهم حتى نستطيع أن نكون في أمان. فأرجوك جاوبيني على الأسئلة التالية؛ هل نستطيع أن نتخلص من كل الروافد الموجودين على «سيمرغ»؟

في لحظة تضيء الرؤية أمامه بنقاط حمراء في واجهة تشبه كثيرًا واجهة المقاتلة الحربية الخاصة به.

- «تالي».. هذا رائع...

ليجيء صوت «تالي»: لا، ليس رائعًا، لا نستطيع في حالتك وحالتي تلك حتى التغلب على ربع القوات المرابطة هنا.

- لا كنت أتحدث عن الواجهة.. لا عليك... هل من الممكن الاحتفاظ بتلك الواجهة طوال الوقت؟

يأتي صوت «تالي» في حماس: يمكنني تحسينها أيضًا، وفجأة يصير أمام راعي كل ما يمكن أن يحلم به من بيانات مسح حراري واحتمالات نجاح المناورات القتالية المختلفة، وعداد خطوات، وعداد ذخيرة للأسلحة الملقاة على الأرض، ودرجة الحرارة، ونسب الغازات المختلفة في الجو، ونسبة الأكسجين في دمه، وأماكن إصابته وسرعة نزيفه.

- هل تعجبك الواجهة؟

يبدأ راعي في الوقوف على قدميه متأوهًا وهو يقول: لا أعتقد أنها يمكن أن تكون أكثر روعة.

لتقول «تالي»: لا تراهن على ذلك.

قبل أن تظهر أمامه واجهة مشغل موسيقى، و«تالي» تسأله: ما الذي تحب سماعه؟ فأنا أملك المكتبة الموسيقية لسفينة «سيقا».

- «تالي».. فلتضعي لنا بعضًا من موسيقى الروك،

وعديني أنك لن تقومي بالتسريع.

***

كقذيفة موجهة تحرك راعي في أرجاء مرفأ «سيمرغ»، لينتقل إلى ساتر آخر، وقد وفرت له الواجهة المعلوماتية التي صنعتها له «تالي»، معلومات تكتيكية غير مسبوقة، كان يعرف بالضبط موقع تمركز كل مقاتل من قوات الروافد، ويمكنه عن طريق المسح الحراري رؤية قوات الدعم القادمة من أنحاء السفينة.

في الوقت الحالي لم يزد عدد المقاتلين في المرفأ أكثر من ستة، ولكن يمكنه إبصار ما لا يقل عن دستتين من مقاتلي الروافد في طريقهم إليه.

عليه التحرك سريعًا ولكن قبل تحركه يجب عليه أن يحدد هدفًا واضحًا.

- «تالي»، أبحث عن مركبة تملك قدرات مناورة ممتلئة بالوقود ولديها قدرات على قطع مسافات طويلة، ويجب -وهذا ضروري جدًّا- أن تحمل بعض المؤنة، لأسبوع على الأقل حتى نعود إلى «تيامات».

في أقل من ثانيتين يجيء رد «تالي»: لا تجتمع كل تلك المتطلبات في مركبة واحدة، ولكن يمكنني تحديد موقع مؤنة، وهناك شيء آخر...

يغمر اللون الأزرق كل شيء فجأة وصوت السفينة الداخلي يصدح قائلًا: تحذير.. يتم فصل الجاذبية عن مرفأ السفن الآن.. تحذير يتم فصل الجاذبية عن مرفأ السفن الآن.

لتكمل «تالي»: نعم، أردت إخبارك بشأن هذا.

- الأوغاد، يحاولون نيل الأفضلية، «تالي» أخبريني أنني سأتمكن من القتال بالفاعلية نفسها دون جاذبية.

يأتي رد «تالي» على الفور: بالطبع لن يمكنك ذلك، ولكن يمكننا إضافتها كمهمة أخرى على قائمة مهامك التي تحتاج إلى تنفيذها خلال الثلاثمئة ثانية القادمة.

لم يحاول راعي الاستفسار حتى عن سبب تحديد الوقت بثلاثمئة ثانية، ولكن بدأ ينتبه إلى نقاط وامضة في مجال رؤيته، ثم ترتسم أرقام فوق كل واحد من تلك النقاط.

ثلاثة أرقام.. ينطلق راعي في اتجاه أولهم عن فوره، بينما عداد ثوانٍ يظهر بجانب مجال رؤيته ليقول راعي: لا.. لا.. لا تزيدي من توتري. أخفي هذا المؤقت.

- حسنًا.. لديك حتى نهاية الأغنية القادمة قبل أن نتحول إلى أشلاء.

يشعر راعي بتطور كبير في شخصيته كونه استطاع التحكم في فضوله ولم يحاول سؤال «تالي» عما سيكون

سبب تحولهما إلى أشلاء.

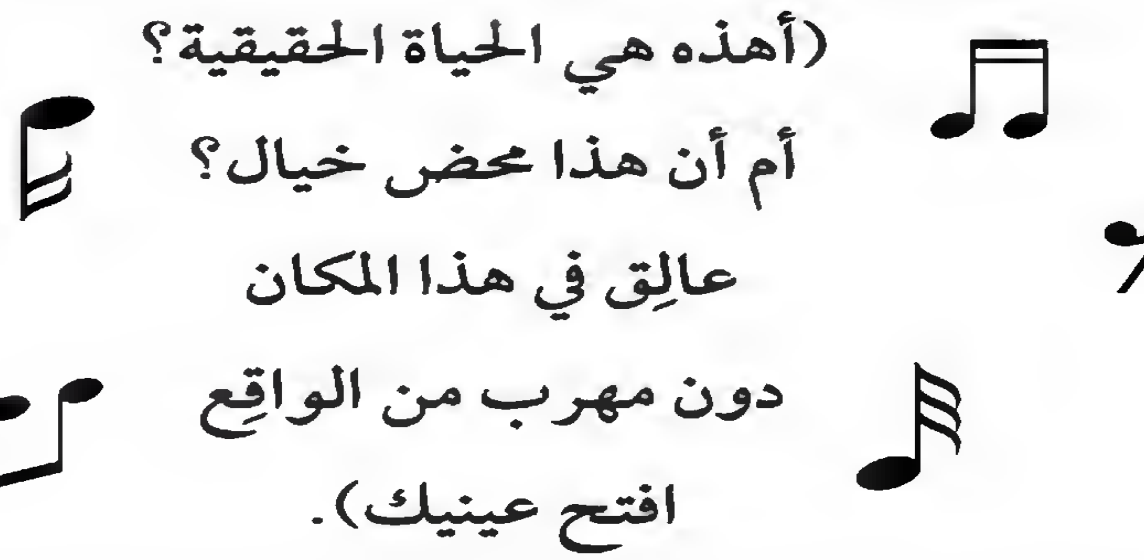

كانت النقطة الأولى هي مركبة صغيرة خاصة بصيانة الهيكل الخارجي للسفينة. ما إن وصل إليها حتى جاء صوت «تالي»: أريدك أن تصنع قطعًا هنا وهنا وهنا.

ليبزغ السيف من يده مرة أخرى وتظهر أماكن القطع أمام عينه.

يذوب هيكل المركبة تحت وطأة السيف ليجد أمامه المحرك الخاص بالمركبة، ويشعر بدفقات الرصاص في مؤخرة عنقه ليستوعب أنه فقد تركيزه فيركع أرضًا ويجذب القطعة التي انتزعها من جسد السفينة؛ صانعًا درعًا يدويًّا مؤقتًا وهو يسأل «تالي»: والآن ماذا؟

اقترب من المحرك من فضلك.

يتقهقر راعي وهو منكمش على جسده خلف الدرع المؤقت، ما إن يقترب من المحرك داخل جسد السفينة حتى

يشعر بأن البذلة تتشكل من جديد، ولكنها لا تتشكل؛ إنها تنسحب من فوق جسده.

- «تالي» ما الذي يحدث؟

يستمر انسحاب الدرع من على جسده، ويبدو راعي في الشعور بالآلام تهاجم كل جسده، وبجروحه تعاود النزيف.

لم يكن قد لاحظ أن الألم قد توقف، ولكن حين عاد الآن، فهو يدرك جيدًا أن «تالي» قد سكنت الألم وأوقفت النزيف بشكل ما.

- «تالي» ما الذي يحدث؟

(ماما.. لقد قتلت رجلًا لتوي

صوَّبت مسدسًا إلى رأسه، وضغطت على الزناد

والآن.. هو ميت

ماما.. بدأت الحياة لتوّها

لكنني الآن رحلت، رميت كُل شيء خلفي

ماما.. أوه).

في شكلها السائل تلتف «تالي» حول المحرك الخاص بالمركبة لتلتهمه لتعود بعدها زاحفة وتتحول إلى شرنقة مرة أخرى حول جسده.

لحظات وتعود واجهة «تالي» وصوتها وهي تقول: نحن مستعدون للنقطة التالية.

يرد راعي غاضبًا: «تالي» لا تفعلي هذا بي مرة أخرى. عليك إخباري قبل أن تتركيني عاريًا في وسط مرمى النيران.

يأتي اعتذار «تالي» صادقًا وهي تقول: آسفة، أعدك أن ذلك لن يتكرر، الأغنية أوشكت على الانتهاء.

ينطلق راعي في اتجاه النقطة التالية التي كانت قريبة وهو يرى واحدًا من الروافد يخرج من ساتره في اتجاهه.

وفي اللحظة نفسها يشعر بأن حركته صارت أسرع ليسأل «تالي»: أنت من تقومين بدفعي؟ لا، إننا نفقد الجاذبية سريعًا. أتحتاج إلى دفعة؟

- لا لا لا لا..

- حسنًا، ولكننا نحتاج لوقود.

- وقود من أين؟

(لست سوى فتى مسكين، لا أحد يحبني
إنه مُجرَّد فتى مسكين من عائلة بائِسة
أعفوا عنه من تلك الوحشية).

تضيء واجهته بنقاط خضراء متفرقة لأماكن توفر الوقود

المطلوب.

- «تالي» الأولوية للوقود أم للهدف الثاني؟

- الوقود.. لا.. أظن يمكننا الذهاب للهدف الثاني أولًا.

- تظنين؟

كان قد تقاطع طريقه مع المقاتل القادم من أجله ليتفادى دفقة من الرصاصات قبل أن يفصل رأسه عن جسده بضربة سيف واحدة.

- أنت صاحب الخبرة العسكرية، أنا أفعل كل ما أستطيع حتى أعطيك معلومات، افعل بها ما شئت.

يقرر الاتجاه لأقرب مقاتلة تضيء شاشته بأن بها وفرة من الوقود، ما إن يقترب منها حتى تخبره «تالي»: حسنًا، جد لنفسك درعًا حتى أنتهي من إفراغ الوقود.

- ماذا؟

ولكن «تالي» كانت قد بدأت في الانسحاب من على جسده وهو لا يجد سوى قاعدة المقاتلة ليزحف تحتها مختبئًا من الرصاصات القادمة. تلك المرة قد كانت «تالي» أسرع في عودتها ولكن الألم كان أبشع.

- أرجوكِ أخبريني أنك لن تحتاجي إلى فعل ذلك ثانية.

- لا، لا أظن، يمكننا العودة لمهمتنا الأساسية.

بدأ يشعر وكأن قدمه بالكاد تلامس الأرض بعد خروجه من تحت المقاتلة.

الجاذبية بالكاد صارت محسوسة، علامات التحذير ترتسم أمامه فيلقي بجسده للأمام متفاديًا صاروخًا قادمًا من جانبه.

يلتفت ليجد مقاتلًا رافديًّا يوجه قاذفة قنابل صاروخية يعيد تعميرها.

ينطلق راعي تجاهه شاهرًا سيفه، لكن ما إن يقترب منه حتى يتخلى المقاتل عن القاذفة ويلاقيه بركلة بكلا قدميه في صدره، الاختفاء الوشيك للجاذبية يزيد من خطر الروافد بشكل مخيف.

يحاول راعي التشبث بأي شيء ليعطي نفسه أي قدر من الاتزان ولكن الرافدي يباغته بلطمة ويتبعها بركلة في صدره.

لم يشعر بألم حقيقي، ولكن الضربات أخلت بتوازنه، وأفقدته تركيزه لتأتي رصاصات الرافدي من سلاحه الثانوي منتصف صدره دافعة كل الهواء خارج رئتيه، و»تالي» تخبره أن أي رصاصات في المكان نفسه ستخترق الدرع لا محالة.

يحاول راعي الالتفاف سريعًا ليلاقي بظهره دفعة الرصاصات الجديدة التي تدفعه دفعًا إلى أرضية المرفأ،

ولكن في طريقه يلاقي قاذفة الصواريخ الذي تخلى عنها المقاتل، يتشبث بها، ليرتطما سويًّا بالأرض، وما إن يستطيع التشبث ببروز جانبي يساعده على التوازن يلتفت راعي تجاه الرافدي متأكدًا أن هدفه الثالث في ظهره تمامًا. ثم يقفز عاليًا مطلقًا قذيفته تجاه الرافدي وهو يقول: شكرًا على التوصيلة.

ينطلق جسد راعي بفعل قوة دفع الصاروخ، طائرًا في الهواء تجاه هدفه الثالث، بينما يتلقى الرافدي الصاروخ في صدره تمامًا دافعًا إياه عدة أمتار قبل انفجاره مرسلًا موجة أخرى تزيد من سرعة راعي الذي يتخلى عن قاذفة الصواريخ ليلتقي جسده بهدفه الثالث «حاوية تخزين المؤن»؛ التي انبعج جانبها من وطأة ارتطام جسد راعي بها.

(دعوني!

لن ندعك تذهب!

دعني أذهب!

أبدًا!

لن ندعك تذهب أبدًا!

دعني أذهب!

أبدًا!

ندعك تذهب!

دعني أذهب!

لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا

ماما ميا، ماما ميا، ماما ميا، دعيني أذهب

أبعد بعلزبول شيطانه عني، عني

عني).

يتأوه راعي وهو يحاول الوقوف سائلًا «تالي»: ما الذي نحتاج من تلك الحاوية؟

- كل ما تستطيع حمله من طعام.

يلتفت راعي للحاوية مستغلًّا الانفجار الذي سيعطل الروافد لوهلة، ليقوم بفتح جانبها وحمل صندوق كبير من

المؤن بالطبع لم يكن الصندوق يزن شيئًا في حالة انعدام الجاذبية، ولكن تحريكه ودفعه كان مزعجًا جدًّا.

- لا أعتقد أنني سأتمكن من تحريك هذا الصندوق إلى وجهتنا الأخيرة.

لتقول له «تالي»: لا تقلق، لقد انتهيت من التعديلات.

- أي تعديلات؟

يشعر راعي أن هناك تغييرًا ما يحدث في مؤخرة الدرع، ثم تظهر أمامه معطيات جديدة.

- أنت الآن لديك وحدة نفاثة خاصة بك، وأعتقد أن هذا آخر كورس في الأغنية.

يقول راعي وهو يتمسك جيدًا بصندوق المؤن: سيكون هذا مثيرًا للاهتمام.

ليشتعل المحرك النفاث دافعًا إياه تجاه المركبة، بينما يتبعهما الكثير والكثير من الرصاصات المتطايرة.

(أتظن أن بإمكانك أن ترجمني وأن تقتلني
أتظن أن بإمكانك أن تحبني، ثم تتركني لأموت
أوه يا حبيبي، لا يُمكِنك أن تفعل هذا بي،
حبيبي، فلتخرج فحسب، فلتخرج من هنا فحسب
فلا يهمني حقًّا، أن يراني أحد
لا يهمني حقًّا
لا شيء يهمني حقًّا
كيفما تجري الرياح).

***

وفرت لراعي معجزة هروبهم من «سيمرغ» عدة معلومات كان أهمها أن سيطرة الروافد على السفينة أمر حديث نسبيًّا؛ بما أن السفينة لم تطلق أسلحتها على مركبتهما؛ فهم لم يستطيعوا فك شفرة أكواد الإطلاق بعد، وحتى يفعلوا ذلك يحتاج راعي إلى أن يكون في أبعد نقطة ممكنة، وأن تكنولوجيا الروافد قد انشقت تمامًا عن نظيرتها الأرضية لتخدمهم بشكل أفضل.

فلولا مساعدة «تالي» له بإطالة أجزاء من الدرع لتصير أذرعه أكثر طولًا؛ ما كان ليستطيع التحكم في المركبة على الإطلاق.

كانت قد مرت عدة ساعات منذ اختفاء «سيمرغ» خلفهما من على الرادار.

كان راعي يواجه صعوبة حقيقية في تكوين السؤال؛ فما الذي عليه أن يسأله؟ وكيف سيصوغه؟

من أنتِ أم ما أنتِ؟

- هل ما حدث حقيقي؟ هل وجود ذلك الدرع الذي يحيط بي واقع؟ وهل تمكنت من تفادي الرصاصات؟

- إنه أكثر من درع، إنه شيء حي.. إنه «تالي».

- من أنتِ يا «تالي»؟

- لا أفهم سؤالك؟

- كيف تمكنت من فعل كل هذا؟

- لقد أخبرني جسدي أن باستطاعته حمايتك ففعلت هذا.

يتنهد راعي قبل أن يسأل من جديد: أخبريني عن عائلتك.. كيف كانت حياتك على السفينة قبل أن نلتقي؟

كان راعي يعرف أن في هذا الاتجاه من الأسئلة فهو يخرق الأمر المباشر الذي وجه لجميع العاملين في القطاع السابع بعدم محاولة التحقيق مع الفتاة أو فحصها بأي شكل حتى عودتها إلى الأرض.

لكنه الآن لا يمكنه التأكد أن عودتهما للأرض احتمالية قائمة من الأساس.

- ما الذي تعنيه قبل أن نلتقي؟

- «تالي».. قبل أن تلتهمني تلك الفقاعة العجيبة، وأخرج أو ألفظ منها بمعنى أصح.. أين كنتِ في اللحظة التي سبقت قولي لك «لا تخافي».. دعينا نبدأ من هنا؟

يطول صمت «تالي».

- راعي أنا لا أحاول التظاهر بالغباء، ولكني حقًّا لا أفهم قصدك؛ فإن أول ما أعيه في الوجود هو وجهك ويدك الممدودة إلي وأنت تطلب مني ألا أخاف.

كان راعي يوقن أنها صادقة، فلم يحاول مضايقتها بأسئلته، لقد كانت إلى جواره، أنقذت حياته، عليه فقط أن يبقيها بأمان وليكتشف العلماء ماهيتها فيما بعد. فهي حتى لو كانت في شكل طفلة صغيرة لا تزال كائنًا غريبًا.. وحيًّا كما تقول، لهذا فليس من الجيد إغضابها بأي شكل.

- «تالي» أعتقد أنه يمكنك الانفصال الآن عني، يجب أن أبدأ في معالجة إصاباتي.

ثم تطرأ فكرة لرأسه وهو يسأل: أنت تستطيعين العودة إلى هيئتك السابقة كـ«تالي»؟ أليس كذلك؟

يأتي رد «تالي» عمليًّا مسببًا له الكثير والكثير من الألم ولكن لحسن الحظ هو ألم بدني فقط لتتشكل أمامه «تالي» كالفتاة التي عهدها.

لا يترك له الألم فرصة التفكير في أسئلة وجودية يوجهها

لـ»تالي».

- «تالي» هل لديك أي معرفة طبية؟

تهز «تالي» رأسها بالإيجاب وهي تقول: لقد قرأت وشاهدت كل التسجيلات الطبية الموجودة على مركبة «سيڤا». و»تالي» الكبيرة شرحت لي المستعصي علي فهمه.

لا وقت للدهشة، ولا للتفكير في أن «تالي» الكبيرة كانت علاقتها بالفتاة أكثر توطدًا مما أظهرت.

- أحتاج منك أن تساعديني على تخفيف الألم.

تنظر «تالي» حولها وتتجه إلى كابينة الإسعافات الأولية لتحضر كل ما فيها وتعود لراعي لتجلس بجانبه متأملة ما أحضرته.

- اللعنة، كل تلك العقاقير صممت لأجل جسد الروافد.

لتسأله «تالي»: ما الذي سيحدث إذن إذا حقنتك بأحدها؟

يعض على جانب فمه من الألم وهو يقول: تلك هي المشكلة يا صغيرتي، أنا لا أعرف.

- حسنًا.

تقول «تالي» وهي تمد يدها إلى محقن كتب عليه باللغة الهجينة التي يستخدمها الروافد، لتنزع غطاءها وتغرزها في

يدها.

بخوف غريزي يمد راعي يده محاولًا سحب المحقن من ذراعها، ولكنها تبتعد وهي تقول: لا تقلق، أنت تعرف أنه يمكنني أن أكون حريصة في التعامل مع المواد داخل جسدي.

ترتخي ذراع راعي الممدودة، ويتأمل ملامحها التي ارتسم عليها علامات التركيز الشديدة ثم تفتح عينيها وتقول: حسنًا أعتقد أنه سيصلح لك لتخفيف الألم، ولكن في جرعات أكبر.

وقبل أن يستفسر راعي كانت تنزع غطاء محقنين لتغرزهم في ذراعه معًا.

يأتي تأثير المسكن سريعًا في خلال دقائق، ولكن معه يأتي انسحاب الأدرينالين من دمه وارتجاف جميع أطرافه.

- والآن سأحاول نزع الأجسام الغريبة من جسدك. يمكنني أن..

تتأمل كل إنش منه وهي تقول بتركيز: يمكنني استخدام بعض من تلك المعدات لإخراج كل من الرصاصات والشظايا من جسدك. لا أعتقد أنك ستكون مستمتعًا بالنصف ساعة القادمة.

يقول راعي: على عكس آخر ثلاثة أشهر.

تغرس «تالي» المشرط الحراري في قدمه أولًا ليبدأ في الصراخ وهي تقول: أحب سخريتك، أنت مضحك جدًّا.

وتستمر ضحكاتها المرعبة لراعي مع كل ضربة مشرط.

انتهى الأمر في أقل من عشرين دقيقة، واستخدمت «تالي» مواد لاصقة لغلق جروحه، وهي تقول: أنت محظوظ أننا لسنا على الأرض لقد قرأت عن الكائنات الشريرة التي تطلقون عليها البكتيريا. جروح مثل تلك كانت لتقتلك.

يريح راعي رأسه شاعرًا بنبضات الألم الخافتة في أنحاء جسده وهو يقول: البكتيريا ليست شريرة يا عزيزتي، الحقيقة أنه من دون البكتيريا لا يمكن لجسد الإنسان أن يحيا، فالكثير من المهام الأساسية داخل جسدي تحتاج إلى البكتيريا.. أنواع معينة من البكتيريا لأكون محددًا كي تقوم بتلك الوظائف. إن جسدنا حتى يحتوي على أعداد من البكتيريا أكثر مما يحتوي على خلايا.

تضيق عينا «تالي» وهي تسأل: ألا يجعل ذلك منا بكتيريا أكثر من كوننا بشرًا؟

رفع راعي رأسه مأخوذًا بإشارة «تالي» لنفسها كبشر.

«أيمكن أن تكون «تالي» بشرًا؟ أيمكن أن يكون ما حدث مع ساكني سفينة الأجيال على مر القرون في ذلك الفضاء المظلم صنع نوعًا جديدًا من البشر أكثر قدرة على التأقلم؟ نفس ما حدث مع الروافد ولكن أكثر درامية.. ولكن لمَ

كانت وحدها على السفينة إذن؟ هل هي الأولى من...».

- راعي؟.. هل سمعتني؟

- آه.. نعم سمعتك.. ذلك سؤال أكبر من قدر عيني. فهو يحوي على جانب كبير من الفلسفة وما الذي يكون الوعي بالضبط ويجعلنا بشرًا.

- وما هي الفلسفة؟

يفكر راعي أن: آه.. بالطبع! لمَ سيتم تزويد سفينة «سيقا» بكتب ومعلومات عن مواضيع غير عملية كالفلسفة، التي يبدو أننا هجرناها مع أحلامنا؟

- أعدك يا «تالي» أن أخبرك كل ما أعرفه عن الفلسفة في وقت آخر، ولكن لنعد للنقطة الأساسية؛ البكتيريا لا.. ليست شريرة.

- وماذا عن الروافد؟

- ماذا عنهم؟

- هل هم أشرار؟

يفكر راعي: اللعنة عليك يا «تالي»، تسألينني بكل تلك البراءة إن كان الروافد أشرارًا، تسألينني عمن ملؤا جسدي بالرصاصات، ودمروا سفينة كان عليها من أعطتك اسمها، من قتلوا آلافًا من الأرضيين منهم رفقائي في السلاح، وتسألينني ببساطة هل هم أشرار!

يبتلع راعي لعابه في مرارة قبل أن يجيبها قائلًا: لا يا «تالي»، الروافد ليسوا أشرارًا. لا يوجد من هو شرير في المطلق من أجل الشر. في يوم بعيد كان الأرضيون والروافد مجرد بشر.

وترتسم بسمة خفيفة على وجهه وهو يتابع: مثلنا.. ولكن تجاهل الأرضيين لهم ولاحتياجاتهم لعشرات السنين واغترابهم عن الأرض كَوَّن متعصبين كارهين من الطرفين، لا ينظرون للآخر على أنه من الجنس نفسه، بل أدنى شأنًا، ويمثل خطرًا على بقاء الآخر. إن الأمر في أساسه كان مشكلة في التواصل. كلٌّ كان يحاول أن يتواصل بطريقة يظن أنها المثلى، ولكننا لم نحاول أبدًا أن نفهم بعضنا بعضًا.

- إذن أنت تفهم...

يلتفت راعي ليلتقي بعيني «تالي» بسرعة؛ فالصوت الذي خرج من بين شفتيها لم يكن صوت «تالي»، بل كان صوتًا آخر، صوتًا أضخم.. أجش.

لتُكمل: أنت تفهم أن حربًا قد تشتعل بين جنسين لمجرد سوء تواصل.

يهب راعي واقفًا باحثًا بعينيه عن شيء يمكن استخدامه كسلاح؛ فـ«تالي» بدأت تتموج ملامحها وكأنها صورة هولوجرامية، بينما شفتاها تتحركان أقل فأقل مع كل كلمة

حتى صار فمها مفتوحًا ثابتًا وما زال الصوت يأتي متحدثًا: لا تخافي.. كانت تلك أول كلماتك للفتاة.. ونحن نطلب منك ألا تخاف.. ونعدك بأن كل ما نرغب فيه هو أن نتواصل.

كان راعي لا يزال يبحث يمينًا ويسارًا عن أي شيء أي شيء فقط يمكنه الإمساك به واستخدامه كسلاح ليعطيه الأمان وهو يسأل: من أنتم؟ أكل ذلك كان خدعة؟ عمن تتحدث بصيغة الجمع؟

- نحن من أوجدنا «تالي»، يمكنك التفكير بنا بالضبط كما تفكر في البكتيريا التي بجسدك. نحن لسنا «تالي»، ولكننا بداخلها، ننتظر حتى نجد من يفهم أن سوء التفاهم يمكن أن يسبب كوارث.

***

“

لا أحد يعرف كيف ولا متى بدأ ظهور النسيج المرمل في أحلام البشر، نحن نعرف أنه ظهر في أحلام الأرضيين فقط، ولم يكن وقتها قد حدث الانفصال بين الأرضيين والروافد.

كل البشر على الأرض بدؤوا في رؤية أحلام سريالية يجدون فيها أنفسهم في مكان أشبه بصحراء مظلمة مليئة بخيوط بلورية تكون شبكات أشبه بشبكات العنكبوت.

عشرون عامًا كي يلاحظ البشر أن هذا الحلم المشهد العجيب يغزو أحلامنا.

عشرون عامًا في عصر كان التواصل فيه في أوجه.

حينها عرفنا أن النسيج ليس مجرد حلم أو كابوس، النسيج كان كشفًا سيغير من تطلعات البشر للأبد.

حين بدأ النائمون يستيقظون في أماكن غير التي غفوا بها بدأنا أن نفهم؛ قوة كونية ما أهدتنا القدرة على ولوج بعد آخر

~~لم نحلم بوجوده...~~

حلمنا فقط بوجوده.

كان النسيج المرمل مثيرًا ومخيفًا.. أول ما فعلناه هو أننا بدأنا في نزع الأحلام من الرؤوس، أكثر من عانى في

البدء كان الأرضيون الذين يذهبون في مهمات خارج الأرض أو في زيارات لمحطات الروافد؛ فصاروا ينامون ببدلاتهم الفضائية حيث كانوا يصحون ليجدوا أنفسهم خارج المحطات في الفضاء.

ثم بدأت التجارب تظهر أن ذلك الحلم يمكنه فعل أكثر من نقلك عدة كيلومترات.

إن ما وجدناه في النسيج كان خريطة موازية للكون، تحتاج فقط أن تختار على هذا المقياس المصغر جهتك لتذهب إلى أي مكان ترغب فيه، واستطاعوا تسجيل إشارات المخ اللازمة التي تحدث أثناء اليوم وينتج عنها فتح هذا البُعد.

وفي غضون سنوات قليلة استطعنا صُنع محركات وسفن تحلم، لا تحلم بالظبط، ولكن تكون الإشارات التي تفتح النسيج المرمل.

وبالطبع أول من قررنا تجربة الأمر عليه كان الروافد، فبرغم كوننا كبشر متساوين جميعًا؛ إلا أن بعضنا كان متساويًا أكثر من الآخر، وأول محرك أحلام ضخم تم شحنه وتركيبه في محطة من محطات الروافد، ونجح نجاحًا باهرًا؛ مشكلة واحدة أن المهندسين الذين قاموا بتركيبه والمحرك لم يعودوا قط للأرض، فقد كانت

تلك لحظة ثورة الروافد وقرارهم بالانفصال عن الأرضيين.

استطاعوا تزويد كل محطاتهم بمحركات الأحلام، وانطلقوا يبحثون عن مكان جديد للعيش بعيدًا عن مدار الأرض، ولكنهم لم ينسوا إساءة وتاريخ الأرضيين معهم أبدًا.

لم يستمر تفوقهم المؤقت بمحركات الأحلام كثيرًا؛ فسرعان ما صنع الأرضيون محركات جديدة أكثر تطورًا، وكانت لديهم أفضلية عددية وموارد أكبر وأسهل في الحصد.

وانطلقت الحرب برغم سعة الكون، ولانهائية الاحتمالات بمحركات الأحلام.

إن كان يمكن نعت جنسنا بشيء فالجنون هو النعت الأقرب للحقيقة.

من مذكرات «بيجين الراعي»

- قبل أن نقص عليك ما حدث في لقائنا الأول مع البشر عليك استيعاب أن جنسنا بأكمله نادم على النتيجة التي آلت لها الأمور، إن «تالي» هي تكفيرنا عما حدث.

كان راعي قد ألصق ظهره بركن كابينة قيادة المركبة وهو يهز رأسه متفهمًا ليقول: تلك لحظة كبيرة بالنسبة لي؛ لذا أرجو ألا تعتبرها وقاحة وألا أكون قد أفسدت علاقة البشر بكم حينما أطلب منك الابتعاد قليلًا.

يقف جسد «تالي» ويتحرك في آلية للخلف قبل أن يأتي الصوت الأجش سائلًا: هل هذا مناسب؟

يود راعي إخباره لو كان وجوده على بعد عدة سنوات

ضوئية لن يكون كافيًا لإخماد الهلع الذي يشتعل بداخله، ولكنه يتمالك نفسه قائلًا: نعم... مناسب.

- نحن جنس مسالم، غير افتراسي أو توسعي مثلكم، ولكننا دائمًا نرغب في التعرف على الكون أكثر. في مجموعتنا المحلية توجد حياة على أكثر المجموعات النجمية المحيطة بنا، نحن لا نتكاثر؛ فمنذ أن وجدنا بقينا بالعدد نفسه وعلى الصورة ذاتها، ولكننا مثلك لدينا نهم لا ينطفئ للمعرفة، شكلنا وتكويننا لا يشبهكم ولا يشبه أي شيء تخيلتموه في أدبكم وأفلامكم، نحن مثل شفرتكم الجينية، مجموعة من المعلومات تسعى لاكتساب معلومات أكثر، وطريقتنا في اكتساب تلك المعلومات هي مزج معلوماتنا الجينية بمعلومات الشيء الذي نرغب في التعلم عنه أو منه، طوال تواجدنا في مجموعتنا المحلية كانت تلك هي الطريقة المثلى التي سهلت علينا أن نكون الجنس الأكثر تقدمًا في مجرتنا بالأكمل، وساعدتنا على التجول أحرارًا لننتقل من مجرة إلى أخرى.

يقاطعهم راعي متسائلًا: لحظة، تلك السفن الهرمية التي كانت تتبع سفينة الأجيال، أذلك أنتم؟ أأنتم من نطلق عليهم الهرميين؟

يأتي الصوت من «تالي» قائلًا: لا، وإن كنت قد التقيت بنا ورأيت سفننا من قبل.

- أنا ؟

يتساءل راعي في عدم تصديق.

- على سفينة الأجيال.. ذلك السائل الذي وصفته باللزوجة كان نحن، والسفن التي نستخدمها هي تلك الفقاعات التي تنقلنا في أنحاء الكون.

رغمًا عنه وجد راعي نفسه يبحث عن أقرب ركن يصلح للجلوس ليلقي بجسده عليه وهو يجاهد لغلق فمه.

تتصارع الأسئلة في رأسه، لا يعرف من أين يبدأ.

ليجري أول سؤال على لسانه دون تفكير: ولماذا إذن حاولتم قتلي إذا كنتم تدعون السلام؟

- تلك هي المشكلة يا راعي، وذلك ما حدث حين وصلنا إلى مجرتكم وقابلنا سفينة الأجيال على أطراف المجرة. كنا نحاول التواصل مع رواد السفينة؛ وتعريفهم بنفسنا وإعطاءهم أكبر قدر من المعلومات، لم نكن نعلم أن ما نعتبره وسيلة تواصل يومية نحن نقتلهم.

لم يكن راعي ليظن أنه سيجد ما يمكن أن يصدمه أكثر مما رأى في الساعة الأيام الأخيرة.

عاجزًا عن النطق أو الرد على ما يخرج من فم «تالي».. هل كانوا يتوقعون منه ردًّا من الأساس؟

أيريدون أن يصفح عنهم مثلًا لقتلهم مئات البشر؟ أهو

المتحدث باسم البشرية في هذه اللحظة؟

يأتي الصوت مرة أخرى: كنا قد تأخرنا جدًّا حين أدركنا ما فعلناه، كنا غير عالمين، قضينا على أكبر أحلام البشر في الخروج من سجن الأرض وإعمار كواكب جديدة، كان ذلك أول لقاء لكم مع جنس آخر ونحن أفسدناه؛ وقررنا محاولة إصلاح الأمر بالعودة بالسفينة إليكم، ومحاولة التواصل بشكل مختلف؛ يمكنكم فهمه، وترك الحكم الذي سنقبله علينا بين يديكم.

كانت رحلة ستحتاج إلى قرون، أثناءها لا نستطيع إشباع فضولنا من العلم والتعرف على الجديد في الكون، ولكنها تضحية صغيرة.. تكفيرًا عما سببناه من أذى؛ وحينها قابلنا من تطلقون عليهم الهرميين.

- أنتم تعرفون من هم الهرميون؟ وماذا يريدون؟

- نعم.

كان ذلك أمرًا جللًا، فالآن يمكن لراعي أن يحصل على معلومة لا تقدر بثمن.

- إذن أخبرني.. من هم وماذا يريدون؟

-الهرميون يرغبون في إفنائكم عن آخركم، فأنتم الآن جنس ملوث.

***

الفصل السابع

أسياد النسيج

- حين التقينا بالهرميين كنا من نتولى قيادة سفينة الأجيال الخاصة بكم. تمكنا من التواصل معهم بسهولة؛ وقد كانوا جنسًا متقدمًا التقى بالعديد من الأجناس المماثلة لنا من قبل. كانوا بالفعل في طريقهم إلى الأرض، ولديهم القدرة على التحكم في ما تطلقون عليه الأنفاق الدودية. أنفاق يمكنهم إنشاؤها بطاقة مهولة ما بين نقطتين في الفضاء، يمكنهم الترحال بين مليارات السنين الضوئية في وقت لا يذكر. الهرميون نصبوا أنفسهم كحراس لمجرتهم الأقرب من مجرتكم، التي عرفنا مما قرأت «تالي» أنكم تطلقون عليها مجرة أندروميدا، منذ مليارات السنين بحسابكم عرف الهرميون بوجود أكوان متعددة، تختلف في بعض الصفات عن هذا الكون المتسع بالفعل. على واحد من تلك الأكوان نشأ جنس ضاري، لديه نفس الرغبة المعرفية التي نملكها ولكن أيضًا يرغب في السيطرة على كل الموجودات. ذلك جنس استطاع تسخير كون كامل، ثم بدأ في السعي لأكوان أخرى. أنت تعرف هذا الكون وزرته مرارًا. إنه ما تطلقون عليه «النسيج المرمل». لم يكن غزو النسيج المرمل لأحلامكم هبة كونية؛ على العكس كان خللًا استطاع أسياد النسيج النفاذ منه لعقولكم. لستم أول محاولة لهم، ولكن

الهرميين يأملون أن تكون المحاولة الأخيرة. من قبلكم لم يحاول أي جنس قد تلوث بالنسيج بالابتعاد عن كوكبته أو مجموعته الشمسية؛ أما أنتم بتطلعاتكم وطموحكم غير المسبوق فحاولتم غزو الكون كله مستخدمين النسيج لتلوثوا كل ما يفتحه لكم النسيج من طرق حتى يستطيع قريبًا الاستيلاء على هذا الكون؛ وحينها لن يستطيع الهرميون ولا من هم أكبر منهم مواجهة أسياد النسيج. حين عرفنا تلك المعلومات قررنا مشاركتكم إياها، انطلقنا بسفينة الأجيال هاربين وفي أثرنا الهرميون لنحذركم. ليس لشيء سوى للتكفير عما فعلناه.

حاول راعي أن يزدرد لعابه قبل أن يتكلم ولكن فإن كل من لعابه والدم في عروقه قد جف تمامًا ليسعل وهو يقول: لـ.. لماذا إذن حاولتم التهامي.. أو أو.. أيًّا كان ما تفعلونه حين دخلت السفينة وأنتم على علم أن ذلك سيقتلني.

- لا، لم نفعل.. إن ما حدث هو أننا احتجنا معلومات أساسية عن أفضل هيئة يمكن أن نتشكل بها دون إثارة خوفك، وهنا ولدت «تالي»، من أجلك ومن أجل كل البشر. «تالي» وعاء خالٍ، صفحة بيضاء مكونة من مواد يحتاج البشر إلى ملايين إن لم يكن مليارات السنين لاكتشافها فقط وليس لتطويعها. «تالي» ستكون انعكاسًا لما أنت عليه يا راعي، «تالي» يمكن أن تكون ملاكًا أو شيطانًا، أما نحن؛ فقد أدينا مهمتنا، وسنرحل للأبد في انتظار ما

سيفعله البشر إن كانوا سيضحون بجنسهم من أجل بقاء الكون، أم سينتهي

الكون على يد البشر.

فجأة أغلقت «تالي» فمها وعينيها وانهارت ليلحق بها راعي على ذراعيه قبل أن ترتطم بالأرض.

لحظات وتبدأ عيناها في الحركة لتفتح عينيها وتقول بصوتها الذي اعتاده: راعي، أنا لم أعرف أيًّا من هذا صدقني.

يشد راعي على كتفها وهو يقول: أعلم يا عزيزتي...

ثم يحتضنها بقوة محاولًا إخفاء رجفة جسده.

- راعي هل أنت بخير؟

يهز راعي رأسه نافيًا في صمت قبل أن يقول: طالما أردت أن يكون لي شأن عظيم، وأصير واحدًا من العارفين. لطالما كنت فضوليًّا، وأطمح في أن أترك أثرًا في التاريخ.

يحاول راعي إطلاق ضحكة ساخرة، لكنه لا يستطيع، وهو يكمل: واليوم بقاء الجنس البشري كله يقع على عاتقي، وربما أتحمل جزءًا من مسؤولية استمرار الكون.

لم يتوقف جسد راعي عن الارتجاف وهو يتحدث ليكمل: إن عقلي البشري لم يهيأ لأمر مثل هذا.

- راعي، أنت لست وحدك، يمكنني أن أكون ذات فائدة أيضًا.

تلك المرة يستطيع راعي إطلاق ضحكته الساخرة وهو يقول: مجنون فقط من يحط من شأن قدراتك، ولكن يا «تالي» إن الأمر أكبر من كلانا.

- ولكن راعي، أنا أستطيع الاستحواذ على أي معلومات حولي، وأطور بها الدرع وأوفر لك أيضًا كل البيانات التي تحتاجها لاتخاذ قرار. تكويني لهذا الدرع والمعلومات التي صنعت بها الواجهة وقتالنا على «سيمرغ» هي ناتجة فقط من مكتبة معلومات محدودة على مركبة «سيڤا»، أعطني معلومات أكون أكثر فائدة.

يهز راعي رأسه وهو يقول: عزيزتي إن أقرب مصدر معلومات على بعد أسابيع بسرعة تلك المركبة، ولا أعتقد أننا سنستطيع الوصول إلى السفينة «تيامات» بتلك المركبة مخترقين قتالًا دائرًا بين الأرضيين والروافد في أغلب الظن. وحتى إن وصلنا فكيف سنوصل المعلومات للأرض دون النسيج المرمل.

- ألا يمكننا استغلال النسيج مرة أخيرة في مسار مرسوم بالفعل إلى الأرض؟

يشير راعي بكلتا يديه للمركبة الجالسين بها وهو يقول: مع شديد الأسف تلك المركبة لا تحتوي على محرك أحلام،

حتى لو وافقتك على تلك الفكرة؛ فلن نتمكن من الولوج إلى النسيج.

- راعي أعتقد أنك نسيت شيئًا هامًّا.. أن محرك الأحلام هو مجرد نموذج مبني يماثل المحرك الحقيقي.

يعقد راعي حاجبيه دون فهم لتقول «تالي»: إن محرك الأحلام في رأسك، ألا تزال تعاني من تلك الأطياف؟

يهز راعي رأسه قائلًا: نعم، إنها تصير أسوأ يومًا بعد يوم. تكاد تصبح أحلامًا كاملة.

- إذن، لدينا وسيلة الولوج إلى النسيج، دعنا نتحد مرة أخرى، وسأتمكن من إضافة بعض التحديثات مما جمعته من الإنتجريشن المحلي لمركبة الروافد تلك، ونتجه مباشرة إلى الأرض.

لم يكن راعي متأكدًا أن ما تقترحه «تالي» ممكنًا، ولكنه كان يشعر بالحماسة. إنه أمل.. مجرد أمل ضعيف، هو شيء لم يُجَرَّب من قبل؛ أو رُبما جُرِّب لكنه لا يعرف، فمن هو ليعرف.. إنه الأمل الأخير للبشر أجمعين.

- حسنًا دعينا نفعل ذلك.

احتاجت «تالي» لأقل من دقيقة لتتوغل في الإنتجريشن المحلي للمركبة قبل أن تقول بخيبة أمل: حسنًا، يبدو أن الروافد متأخرون بشكل كبير عن الأرضيين؛ سواء في

التسليح أو وسائل الترفيه؛ ولكن على الأقل قدرتهم على التأقلم عالية، لن تكون التحديثات للدرع مبهرة بالشكل الذي توقعته، والآن.. هل أنت مستعد؟

- نعم، هيا بنا.

تتحول «تالي» لحالتها السائلة ملتفة حوله، يتكون الدرع، وتظهر أمام راعي واجهة التحكم. قبل أن يسمع صوت «تالي» قادمًا من داخل رأسه قائلًا: والآن أحتاج منك أن تنام، ما إن تنام حتى أستطيع تحديد الإشارة ويمكنني تحويلها إلى محرك أحلام، ولكن ما إن ندخل النسيج حتى سيتوجب عليك أخذنا إلى الأرض. مستعد؟

***

كان راعي يركض في ساحة الأكاديمية يقود زملاءه في التدريب في غناء نهمة تشعل حماسهم، يعلو صوت راعي في النهمة لتكرره بعده فرقته؛ فجأة يظهر أمامه قائده في التدريب ليسأله: ما الذي تفعله أيها الأحمق؟

يقول راعي: كُلفت بقيادة التدريب يا سيدي.

في لهجة عسكرية حاسمة.

- هل جننت؟ أي تدريب ستقوده وأنت لا تستطيع حتى الحديث؟

يحاول راعي الرد ولكنه يتأتئ قائلًا: أ..أ.. نأ..نـ..

وتتصاعد القهقهات من حوله حتى يظهر الدمع في أعين بعضهم من كثرة الضحك، يحاول راعي الركض مبتعدًا عنهم، لكن يشعر أن قدميه مهما حاول لا تتحرك، ثم يأتي صوت «تالي» قائلًا:

- راعي لا أقصد التطفل على حلمك يمكننا العودة له لاحقًا، لكن كن لطيفًا وافتح لنا بوابة لكون موازٍ.

- «تالي»، ماذا تفعلين هنا؟

- راعي أنت تحلم ولكن الحلم الخاطئ، أعدك بتسجيل هذا الحلم لنشاهده لاحقًا.

- لا.. لا.. لا.. أرجوك، لا أريد أي...

ويتغير كل شيء، الألوان والموجودات والرائحة.. هناك رائحة.. وهناك الكثير والكثير من شبكات العنكبوت من حوله.

يطلق راعي زفيرًا طويلًا ثم يقول: «تالي».. أهلًا بك في النسيج المرمل.

الرمال في كل مكان، ولا شيء سوى الرمال، في العادة حين دخول النسيج يكون راعي داخل مركبة أو سفينة، لم يكن يومًا ليحلم أن يخطو على أرضية هذا المكان، وخاصة الآن وقد عرف أنه ليس في مكان بعيد عن وطنه، بل هو في كونٍ مختلف.

«ما الذي يعنيه هذا حقًّا؟ ما الذي يفصل كونين كاملين عن بعضهما؟ وما الذي يربطهما؟ وما الذي يوجد فيما بينهما؟».

يشعر راعي بالصداع بمجرد التفكير في تلك الأمور.

- حسنًا «تالي» أحتاج منك إلى أن تساعديني في التخطيط لتلك الشبكات المعلقة أمامنا، كل واحدة من تلك الشبكات تمثل بشكل ما خريطة مصغرة لنقطة في مجرتنا، يمكنني التعرف من مكاننا هنا على موقع القطاع السابع، فنحن بالفعل قريبون منه جدًّا في كوننا الحقيقي، نحتاج إلى السير على موازاة تلك الخطوط فوق النسيج للوصول إلى نقطة التواصل مع الأرض.

تضع «تالي» كل الحسابات المذكورة أمام راعي على الشاشة قبل إخباره بما هو موجود أمامه بالفعل؛ بأن النقطة تقع على بعد ساعتين أرضيتين.

- حسنًا، وهل سيكفي ما خزنتِه من وقود؟

تفكر «تالي» للحظة قبل أن تقول له: من الأفضل أن تركض أول نصف ساعة لنحتفظ بأكبر قدر من الوقود بعد الوصول إلى الأرض.

يبدأ راعي في الركض فورًا.

كانت سرعة ضخ الأكسجين تتناسب مع حجم نشاط قلب

راعي، مما سهل عليه المجهود البدني بشكل كبير. حتى إنه آخر استهلاك الوقود حتى اقترب أكثر من نقطة التواصل مع الأرض.

- راعي.. حدثني عن الحلم الذي راودك قبل دخولنا النسيج.

- حقًّا لا أرغب في فعل ذلك. ثم إنني لم أشعر يومًا بأنني عارٍ قدر ما شعرت عند رؤيتك لمثل هذا الحلم.

- لم يكن هذا التطفل باختياري.

- نعم أعرف، لكن ما زال الأمر محرجًا.

- سؤال واحد فقط.. هل كان هناك جزء حقيقي من هذا الحلم؟

يكاد راعي أن يهز رأسه ليجيب عن سؤال «تالي» ثم يستوعب أنها ليست أمامه فيقول: نعم، حقيقي. ولكن ليس بذلك الشكل تمامًا. فذلك حدث من أبي حين كنت أتدرب مع إخوتي تهيئة للالتحاق بالأكاديمية العسكرية، لقد كان عسكريًّا متقاعدًا، ذا شأنٍ كبير، وكان هدفه أن يكون واحد منا مستشارًا عسكريًّا للشركة الأم، لكنه بالطبع لم تكن لديه أي آمال معلقة بابنه الأصغر صاحب إعاقة التحدث.

- لقد تسبب لك ذلك بالكثير من الألم.

- لا، لم أفكر في الأمر كثيرًا.

- راعي أنا لا أسألك، يمكنني رؤية التغيرات التي تحدث في جسدك حين تخبرني بالأمر، إشارة للألم الذي تمر به.

- «تالي» توقفي عن فعل ذلك.

- تريد مني الانفصال عنك هنا والآن؟

يتنهد راعي وهو يقول: لا، لا أقصد ذلك، سنتحدث في ذلك لاحقًا، اقتربنا من نقطة التواصل مع الأرض، استعدي لدفعة قوية؛ فالنقطة تقع بالقرب من مصعد الفضاء فوق الغلاف الجوي الأرضي مباشرة.

لم يكد راعي ينهي كلامه حتى شعر بلفحة حارة تصطدم به ليختل مسار طيرانه، ويكاد يسقط على الرمال.

يسأل راعي «تالي»: ما كان ذلك؟

ليأتيه رد «تالي»: لا أعرف. كتلة من الرمال ارتطمت بنا، أهي عاصفة رملية؟ راعي أنا لا أملك أي معلومات عن الأحوال الجوية في هذا المكان أو حتى تكوينه الفيزيائي.

- حسنًا دعينا نعاود التوجه إلى مسارنا الأصلي بحذر تلك المرة.

تطلق «تالي» كل ما تملكه من ماسحات في كل الاتجاهات وتوجه مسارها مصطحبة راعي تجاه الهدف.

لفحة أخرى ولكن تلك المرة يراها راعي قادمة، لا يستطيع تحاشيها ولكنه يراها.

حائط من الرمال يصطدم به دافعًا إياه بعيدًا عن الشبكة التي يستهدفها.

- «تالي»، أخبريني أنك استطعت التقاط أي معلومات عما حدث.

- لا، لم أستطع التعرف على ماهية ما يهاجمنا، ولكن أستطيع إخبارك أن ضربة أخرى آتية من اليمين.

يستدير راعي وهو يصرخ في «تالي»: افصلي المحركات.

ليسقط جسد راعي في سرعة مقتربًا من رمال الصحراء أسفله، وما إن يتجاوز حائط الرمال الطائر حتى يقول لها: أشعلي المحرك.

يشتعل المحرك على الفور دون تأخير، ولكن راعي يوجهه إلى الأسفل، ليهبط على الرمال ماسحًا الفراغ من حوله وهو يتمتم: ما الذي يحدث هنا.

وفجأة وأمام عينيه تتجمع الرمال، تلتف وكأنه إعصار صغير يكبر ويكبر ويكبر حتى يصل إلى أطراف شبكات النسيج المعلقة. وهنا تبدأ الرياح والرمال في تشكيل تكوين واضح.

كان أمام راعي على بعد عدة خطوات أبشع عنكبوت رآه في حياته؛ مكون بالكامل من حبات الرمال، وفي حجم سفينة فضاء.

***

بالكاد استطاع راعي أن يلقي بنفسه بعيدًا عن لفحة من الرمال صدرت بتلويحة من اليد العنكبوتية الضخمة، ضغط الهواء المحمل بالرمال ضرب بالقرب منه بصوت أقرب للرعد منه لرياح، انكمش راعي متدحرجًا على الأرض ككرة، قبل أن يثبت جسده بين الرمال ليجد موطئ قدم يقف عليه.

كان العنكبوت الضخم ثابتًا في مكانه، لم يلتف حتى لاتجاه راعي ملوحًا بكسل بأقدامه الأمامية مرسلًا مقذوفتين رمليتين تجاهه.

مرة أخرى يلقي راعي بجسده جانبًا لتفادي أن تناله واحدة من المقذوفات، حرص راعي -في أثناء تفاديه لضربات العنكبوت- ألا يعطيه ظهره أبدًا؛ فتلك أسرع وسيلة تنتهي بها المعركة قبل أن تبدأ.

قال راعي لـ»تالي»: «تالي»، لا نحتاج إلى أن نقاتل هذا الشيء، كل ما نحتاجه هو الوصول إلى بوابة الأرض. أعطني أقوى دفعة ممكنة.

- حسنًا...

تشتعل المحركات في درعه، دافعة إياه تجاه الأعلى ثم تجاه شبكة النسيج المتصلة بالأرض.

فجأة تتغير حركات العنكبوت الناعمة لتتحول إلى خطوات سريعة يتبعها العنكبوت بقفزة ترج الأرض حين يهبط متخذًا موقعًا جديدًا بين راعي والنسيج ليجد راعي نفسه في طريقه للاصطدام بواحدة من أذرع العنكبوت الضخمة. لم تكن هناك فرصة لتفادي ضربة العنكبوت فقد لينزل بمخلبه على صدر راعي دافعًا إياه لعدة أمتار بعيدًا عن شبكة النسيج ليكن التقاء جسد راعي بالرمال هينًا زاحفًا جسده لعشرات الأمتار قبل أن يستقر ويستطيع أن ينتفض ليقف مترنحًا في انتظار الضربة القادمة.

- «تالي».. وعدتني بتحديثات إن كانت جاهزة فذلك أفضل وقت لاستخدامها.

يشعر راعي بكتفيه تمتدان لتصيرا أكثر اتساعًا قبل أن تتكون فوهة مدفع على كل جانب وصوت «تالي» يخبره: الرصاصات في اليسار وقاذف اللهب في اليمين، ولكن قاذف اللهب يستهلك من الوقود فاستهلكه بحرص إن أردت الحفاظ بقدرتك على الطيران.

- حسنًا، فلنرَ إن كان للطلقات أثر على هذا الشيء.

نفس عميق قبل أن ينطلق راعي تجاه العنكبوت، يمد راعي يده وهو يركض مكونًا السيف، ويبدأ في إطلاق النيران على كل ما يستطيع أن يطوله من جسد العنكبوت وهو يعطي تعليماته لـ»تالي»: «تالي»، ابحثي في كل نقاط

التقاء الرصاصات على أي أثر لنقطة ضعف.

يتجه راعي مباشرة مستهدفًا رأس العنكبوت الذي يتأهب لقدومه برفع مخلبيه بينما لا يبدو أن هناك أي أثر للرصاصات التي يطلقها راعي في كل مكان في أثناء اقترابه.

حين ينزل العنكبوت تلك المرة بمخالبه يلتف راعي حول نفسه متفاديًا ضربة المخلب وموجهًا سيفه إلى ما يظهر كعين للعنكبوت. يخترق السيف عين العنكبوت الضخم بسلاسة، ثم يشعر أنه يستمر في الاتجاه ذاته دون أي مقاومة، ثم يستوعب متأخرًا أنه يُسحب.. وتتحول فجأة أمام عينيه عينا العنكبوت التي طعنها إلى دوامة رملية تجذب راعي لداخلها.

ليأتي صوت «تالي» قائلًا: إن جزيئاته تتصرف كجزيئات الرمل.

ليقول راعي صارخًا: نعم، لاحظت ذلك.

وهو يقاوم قوة الجذب التي تستحبه داخلها. يزيد راعي من إفراغ الطلقات في كل الاتجاهات ثم يقول: «تالي».. أريد منك أن تطلقي من قاذف اللهب أقصى درجة حرارة ممكنة.

يتوقف إطلاق الطلقات، ويخرج من قاذف اللهب جحيم مستعر يضرب قلب الدوامة الرملية بعد عدة ثوانٍ مرت

كأيام تتغير هيئة الرمال، وتكوينها لتصير أقرب للافا. ينتزع راعي السيف دافعًا بجسده بعيدًا عن رأس العنكبوت قبل أن يلتف في دورة رأسية كاملة ويعود لينزل بالسيف على الشكل القرطاسي الذي تحول إلى مادة زجاجية تتحطم مع التقائها مع نصل سيف راعي.

للمرة الأولى منذ أن بدأ القتال يأخذ العنكبوت خطوة للخلف، بينما راعي يبتعد عن مجال ضربات مخالب وأقدام العنكبوت.

- «تالي» الآن لدينا نافذة ضيقة جدًّا، أريد منك...

لفحة رمال جديدة لم ينتبه لها راعي تلقي به بعيدًا، ليسقط على الرمال مرة أخرى، ولكنه لا يضيع لحظة واحدة وهو يعاود الوقوف قائلًا: حسنًا، لقد صارت النافذة أكثر ضيقًا، أحتاج إلى كل ما لدينا من وقود في كل من قاذفة اللهب والمحرك النفاث، وأعطنا أقصى قوة دفع مع أعلى حرارة ممكنة حين أعطيك الأمر.

- حسنًا ولكن لا تتوقع الكثير.

لا يرد راعي وهو يقفز عاليًا ليشتعل المحرك وقد حدد راعي مساره تجاه رأس العنكبوت مرة أخرى.

تزداد سرعة راعي مع اقترابه، وما إن يصل إلى متناول ضربات المخالب حتى ينطلق في زاوية حادة تجاه بطن العنكبوت دافعًا بالسيف أمامه ليلوح العنكبوت بمخلبه في

محاولة لطعن راعي الذي يصرخ في «تالي»: الآن.

لتنطلق قذيفة اللهب نحو المخلب، بينما راعي ينطلق عموديًّا إلى أعلى، ثم إلى اليسار في تجاه المخلب الذي يذوب من اللهب، يلتفت الجسد العنكبوتي الضخم مرتفعًا على قائمين، ليهجم بالمخلب الأيمن على راعي، ولكن راعي لا يثبت في مكانه لينطلق خارج مدى ضربات المخلب، لتأتي قذيفة رملية من قرون العنكبوت، تضيء واجهته بالإنذار في كل مكان محذرة إياه من اقترابها، ولكن راعي يثبت مكانه قائلًا: هذا سيكون مؤلمًا.

تأتي القذيفة بضربة مباشرة لراعي دافعة إياه مئات الأمتار مرة أخرى، ولكن تلك المرة فإن الدفعة تلقي به بالضبط على شبكة النسيج التي تتلقاه في ترحاب مرسلة إياه مباشرة إلى بوابة الأرض.

***

الفصل الثامن

آخر ما حلم به الراعي

يفتح راعي عينيه ليجد نفسه في فراش وثير في غرفة غير مألوفة، والزهور الصناعية تحاوطه، وبعض مشاهد الهولوجرام الشاعرية للعاصمة الأرضية.

يحاول أن يتذكر هذا المكان دون فائدة، ينهض من على الفراش متجهًا للشاشة الهولوجرامية ليكتشف أنها نافذة. هو في العاصمة.. على الأرض، لكنه لا يستطيع أن يتذكر كيف وصل إلى هنا.

أم هذا حلم؟

هجرته الأحلام منذ زمن فلم يعد يستطيع التعرف على الحلم حين يختبره، ولكن كيف عادت له الأحلام؟

تأتي الذكريات كلها في دفعة واحدة؛ ليصرخ رغمًا عنه: «تالي»!!

ويلتفت ليبحث عن باب الغرفة ليجد أن الباب ينزلق ليفتح في اللحظة نفسها التي تقع عيناه عليها، وخلف الباب يجد وجهين مألوفين «سيڤا» و»ميتشوم».

لا يصدق راعي أنه يشعر بالارتياح لرؤية وجه هذا الثنائي، ولكن هذا بالضبط ما حدث.

كاد أن يحتضنهما، ولكنه تمالك نفسه ومشاعره وهو يقول: لقد عُد.. د..دتـ.. تم!

تقترب منه «سيڤا» ولمفاجأته الشديدة أنها تعانقه، وهي تقول: لم أشتق لصفوف المخاطبة معك، يجب أن نعمل على معالجتك سريعًا.

يضحك راعي رغمًا عنه، قبل أن يصافح «ميتشوم» الذي حافظ على رسميته، ولكن كان يرى سعادة حقيقية على وجهه، قبل أن يتذكر مرة أخرى راعي ويقول: «تالي»!.. أعني الفتاة.

تطمئنه «سيڤا» بتربيتة على الكتف وتقول: لا تقلق. الفتاة بخير، تنتظرنا في الغرفة المجاورة. التقطنا دخولكما الغلاف الجوي وسقوط مركبتكم قبال سواحل العاصمة، لا أعرف كيف استطعتم الخروج من المركبة، ولكن حين وجدناك كانت الفتاة بخير ممسكة بيدك على الشط.

يكاد راعي أن يخبرهم عن ماهية «تالي»، ولكنه يمسك لسانه معدلًا عن رأيه ليقول: هناك الكثير من الأشياء أحتاج إلى إيصالها للرئيس التنفيذي. أحتاج إلى رؤيته الآن... هل هذا ممكن؟ وأعتقد أنه من الأفضل أن أصحب «تالي» معي.

تتسع ابتسامة «سيڤا» وهي تطلق زفيرًا مبالغًا فيه قائلة: آه أشكرك يا راعي، لقد رفعت ثقلًا لا يصدق من على

قلبي، فأنا عديمة المشاعر التي كانت قادمة لتخبرك أنك تحتاج إلى أن تلتقي بالرئيس والمستشارين على الفور.

- حسنًا سأجهز على الفور للقائه، هل سنذهب إلى الشركة الأم؟

ينظر «ميتشوم» حوله ثم يضحك قائلًا: راعي أنت في الشركة الأم، غرفة الاجتماع في الطابق الأعلى، ولا لن يكون هناك وقت لتغيير رداء المستشفى، آسف على ذلك.

في آلية تامة يرتدي راعي خفي المستشفى ويقف منتبهًا في وقفة عسكرية وهو يقول: أنا جاهز إذن.

ارتفعت الحواجب حين رؤية اللقاء الحار بين «تالي» وراعي في طريقهما إلى المصعد، لتعلق «سيقا» أن علاقتهما قد توطدت في الأيام الأخيرة.

طلبوا من «تالي» أن تنتظر خارج غرفة الاجتماعات مباشرة، وإن كانوا احتفظوا بالواجهة الزجاجية شفافة دون أن يُعتموها.

في الغرفة كان هناك المستشار العلمي والمستشار العسكري الذي لاقى راعي مربتًا على كتفه ويقول: أنت بطل حقيقي لكل الأرضيين، أبوك سيكون في غاية الفخر بما حققته.

شعر راعي بغصة في حلقه كونه يحمل نذير موت لجنسه.

موقع الكتب جراية

أخيرًا بعد أن وصل لما حلم به، وسمع الكلمات التي احتاج أن يسمعها طوال عمره سينتهي العالم.

يبتسم راعي في دبلوماسية قبل أن يظهر الرئيس التنفيذي ليقول: أنت تعجبني يا فتى، ولدي الكثير لأخبرك به، ولكن كل ثانية تمر فإننا نفقد أموالًا وأرواحًا. هل أخبروك بتطورات الهجوم الشامل على كل القطاعات من جانب الروافد؟

- نعم يا سيادة الرئيس بشكل مختصر.

- حسنًا.. ألقِ على مسامعنا بكل ما حدث منذ أن تركت السفينة «تيامات» حتى وجدناك على الشط صباح اليوم.

يبدأ راعي في الحديث.

كان حديث راعي منظمًا، مرتبًا؛ كأي تقرير عسكري، قُوطع في البداية، ولكن بأمر من الرئيس أوقفت كل الأسئلة حتى ينهي تقريره تمامًا.

يلتفت الهولوجرام الخاص بالرئيس متأملًا الفتاة قبل أن يقول: إذن.. إن صحت دقة وصفك.. فإن تلك الفتاة.. «تالي».. اسمها «تالي».. نعم.. هي أعظم سلاح في المجرة.

بفخر أبوي لا يعلم من أين جاء هز راعي رأسه وهو يقول: هي كذلك سيدي الرئيس، ولكن نحن نحتاج إلى ما هو

موقع الكتب صامية

أقوى سلاح في المجرة، عدونا يسيطر على كون بأكمله، ويسيطر على أجزاء من أجسادنا.

جاء صوت الرئيس حازمًا: سيادة المستشار العسكري سيادة المستشار العلمي أحتاج منكم إلى إخلاء الغرفة فورًا، أود مناقشة أمر ما مع بطلنا و»سيڤا» و»ميتشوم».

على الفور ترك كلًّا من المستشار العسكري والعلمي مقاعدهما ليخطوا خلف الحاجز الزجاجي.

يبقى راعي نظرة على «تالي» التي كانت تجلس تقهقه بينما في يديها لوحة إلكترونية يبدو أنها تشاهد من عليها أفلامًا جديدة على الإنتجريشن قبل أن يتحول لون الزجاج الشفاف إلى اللون الرمادي فاصلًا الرؤية عن الجانبين تمامًا.

- راعي نحن لا نحتاج أقوى سلاح في المجرة.. لا نحتاج لأقوى سلاح في الكون.. نحتاج فقط إلى سلاح نستطيع درء خطر الهرميين به، وأنت ببطولتك وعلاقتك بهذا السلاح ستوفران هذا لنا. «سيڤا».. جهزي بوابات النسيج المرمل، ولنستدعِ كل جبهات القطاعات المختلفة، لا وقت نضيعه مع الروافد الآن، نحتاج إلى أن نستعد لوصول الهرميين في أسرع وقت. سأبلغ مجلس الإدارة بكل ما تضمنه تقريرك ولا أريدك أن تقلق على الإطلاق، نحن أبعد ما يكون عن الفناء يا بني، سأترك «سيڤا» لتشرح لكم.

روحة الكتب حرامية

ثم يلقي بتحية عسكرية يردها راعي فورًا.

- أ.. أنا لا أفهم شيئًا.

ليأتي صوت «ميتشوم»: «سيڤا»، أشاركه الجهل، فتح المزيد من بوابات النسيج المرمل ستزيد الأمر سوءًا ليس إلا. أليس من المفترض أن نبدأ في التواصل لحل دبلوماسي مع الهرميين.

يوافق راعي على ما يقوله «ميتشوم» بهزة من رأسه، لتعض «سيڤا» على شفتيها قبل أن تقول: حسنًا يا أعزائي؛ هناك بعض النقاط التي سيجب عليّ مشاركتكم إياها. حين انطلقنا وحيدين للفضاء منذ قرون بأفضل ما لدينا من تكنولوجيا موجودة في سفينة الأجيال كنا فريسة سهلة ضعيفة، من ظنناه طوال تلك السنوات جنسًا ضاريًّا محاربًا نكتشف الآن (تضحك ضحكة مريرة وهي تكمل) أنهم من الأجناس الصديقة المسالمة، كانوا يحاولون التواصل معنا فأبادونا عن غير قصد، لذا حين اكتشفنا قدرات النسيج المرمل على نقلنا والإمكانيات والاحتمالات الهائلة التي سيوفرها للجنس البشري قررنا أن ندرسه جيدًا ووجدنا مفاجأة.. حياة موجودة داخل النسيج.. حياة مجهرية.. ولكنها موجودة. بدأنا في دراستها في حماسة شديدة ونحن نشعر أننا آلهة تنظر من عَلٍ على تلك الكائنات التي لا حول لها ولا قوة، وتحت المجهر وجدنا الآلهة الحقيقة.. يملك أسياد النسيج المرمل تحكمًا كاملًا في كل

الموجودات في كونهم، يستطيعون التحكم حتى في ذرات الهواء في عالمهم، وحين أدركنا هذا أعلنوا عن نفسهم. أسياد النسيج المرمل كانوا أشبه بالعقل الجمعي، يتحكمون في كل شيء، وكان الوقت قد تأخر على أن نقطع تواصلنا معهم. كنا قد تلوثنا بالفعل كما تفضلت بوصفنا يا راعي.

كان راعي و«ميتشوم» يستمعون لما يقال في حالة من الذهول. لاإراديًّا تخلى راعي عن وقفته العسكرية وكل ما نزل عليه هو أن يهز رأسه متمتمًا: لا...

- ثم لمَ قد نرغب في قطع تواصلنا بأسياد النسيج؟ نحن جنس ضعيف، لا يستطيع أن يدافع عن نفسه في هذا الكون المظلم. إن القنابل النووية لم تؤذِ الصراصير يومًا، ولكننا في حجم كوننا نحن أقرب لل«تارديغرادا». ما الذي يعنينا في حروب كونية؟ كل ما نأمل فيه هو البقاء. أسياد النسيج عقدوا معنا تحالفًا بأن نفتح لهم بوابات هذا الكون، ويتركوننا نحيا. يستمر البشر، ولا يصيرون أحفورة تندثر.

بصوت مرتعش يأتي صوت راعي: نحن حرفيًّا نفتح الباب للعدو ليستولي على عالمنا. نحن الخائنين في هذه القصة.

تحتد «سيڤا» قائلة: أفق يا راعي تلك ليست قصة، وما الذي تظنه سيحدث لو وقفنا أمام أسياد النسيج. سنكون ضحية أخرى من ضحاياهم، وإذا اجتمع الكبار في هذا الكون وصدوا هجوم أسياد النسيج؛ ألم يضعونا بالفعل في

خانة الأعداء وصرنا ملوثين يجب أن نموت؟

- لهذا يهاجمنا الروافد...

ينتبه راعي لـ«ميتشوم» الذي جاء صوته خافتًا ولكن مسموعًا، يقول «ميتشوم» وعلامات الاستيعاب تظهر على وجهه: «سيڤا» ألا ترين؟ «سيڤا» لقد استطاعوا أن يفكوا شفرة الصندوق الأسود من سفينة الأجيال، لقد عرفوا المعلومات نفسها التي يخبرنا بها راعي، إنهم يحاولون إيقاف أسياد النسيج؛ لذلك لم يتبعونا داخل النسيج في كل القطاعات...

تصرخ «سيڤا»: فليذهب الروافد والكون بأكمله للجحيم.. بقاء البشر هو الأولوية الوحيدة. أسنضحي بالجنس البشري كاملًا من أجل أجناس في هذا الكون لم نلتقِهم يومًا؟!

- ليس كل البشر.

يهمس راعي.

- الروافد ليسوا ملوثين، سيحيا البشر دون الأرضيين، وسيحيون في كون غير خاضع لسيطرة أولئك الوحوش.

- راعي.. لا تكن أحمق..

تقولها «سيڤا» بينما راعي يتجه لباب الغرفة دافعًا يده في التجويف لينزلق ويرى أمامه كتيبة من القوات الخاصة تحيط بـ«تالي» التي تقف في المنتصف، ولا يزال كامل

انتباهها منصبًّا على اللوحة الرقمية في يديها.

يأتي صوت «سيڤا» من خلفه: راعي... ما الذي تنوي على فعله؟

- «تالي» أحتاج إليك.

جاء صوت راعي مرتعشًا لترفع «تالي» أصبعها في إشارة أن يعطيها ثانية.

قبل أن ترفع رأسها لتقول: راعي، لم أتوقع كل ما وجدته على الإنتجريشن، إنه أكبر بمليارات المرات مما اختبرته من قبل مع الإنتجريشن المحلي.

يأتي صوت «ميتشوم» من خلفه قائلًا: من سمح لها بالدخول للإنتجريشن!

تنتفض مساعدة «سيڤا» في ركن، ولكن قبل أن تجيب يكرر راعي: «تالي».. الآن!

في لحظة تترك «تالي» اللوحة من يدها وتنساب متحولة إلى سائل يلتف حول راعي مكونًا درعه، بينما يصرخ في رجال العمليات الخاصة ألا يتحركون وقائدهم يقول لـ«سيڤا»: نحن على استعداد للاشتباك. ما هي أوامرك؟

تقول «سيڤا» وهي متسارعة الأنفاس: راعي، أعلم أنك أحمق، ولكنك بالتأكيد لست بهذه الحماقة. راعي...

تقولها تلك المرة وهي ترفع لوحًا إلكترونيًّا عليه مجموعة

من الصور لها ولأختها ولعائلة أختها: أنت تطلب منا أن نضحي بعائلتنا.. أن أضحي بتلك العائلة من أجل خير أعظم لكون لم يفعل أي شيء منذ أن وجدنا إلا محاولة قتلنا. لسنا نحن الأشرار هنا.

يسكت راعي للحظات وواجهة «تالي» تتكون أمامه قبل أن يقول: حسنًا، فلأكن أنا الشرير إذن.

تصرخ «سيڤا» في وحشية في رجال العمليات الخاصة أن يشتبكوا.

تلك المرة لم تصل الرصاصات حتى لدرع راعي ليجيء صوت «تالي» قائلًا: أعتقد أن التحديثات الجديدة ستعجبك أكثر، قرأت عن الدروع الكهرومغناطيسية.

يظهر المدفع الآلي من كتفه الأيسر ليبدأ في إطلاق نار في تجاه مقاتلي العمليات الخاصة؛ بينما يندفع مارًّا من بينهم خارجًا من الغرفة.

في خارج الغرفة كان في انتظاره ما لا يقل عن عشرين مقاتلًا آخر. في تلك اللحظة كان راعي يحاول تجنب الاشتباك تمامًا. فهو يحتاج إلى أن يوفر كل الذخيرة المتاحة وكل الطاقة المتوفرة.

يخترق راعي حجرة المصعد، لينطلق إلى أسفل نحو مدخل الشركة.

يهبط راعي في الدور الأرضي بدويٍّ عالٍ أشبه بانفجار، لينطلق بأقصى طاقته إلى ساحة المبنى ومنها تجاه السماء.

- «تالي» حددي لي موقع مصعد الفضاء.. الآن.

على الفور تظهر نقطة مضيئة أمامه ينطلق تجاهها بكل سرعته.

- هل هناك خطة معينة؟

تسأل «تالي».

- في الوقت الحالي كل ما أملكه هو أن أتواصل مع الروافد، أعتقد لو استطعنا الوصول لمركبة؛ يمكنني التواصل...

وقبل أن ينهي جملته شعر بها.. كانت هناك بوابة نسيج مرمل تُفتح أمامه، وقادم منها رياح محملة بالرمال.

يلتفت راعي للاتجاه بعيدًا عنها، ليجد إشارات الإنذار على واجهته تعلمه بوجود عدة صواريخ قد أُطلقت نحوه.

- «تالي» هل هناك أي وسائل دفاعية؟ لإسقاط تلك الصواريخ؟

- للأسف لا أملك مكونات لصنع جاذب للصواريخ الآن.. إن الارتطام بنا حتمي.

يفكر راعي لأقل من ثانية ثم يعود أدراجه مرة أخرى

تجاه بوابة النسيج المرمل التي يرى على أطرافها مخالب العنكبوت.

- «تالي» هل كان هناك فرصة للتزود بأي وقود؟

- لا، أعمل الآن بالطاقة الشمسية.

يبتسم راعي وهو يقول لها: أحتاج منك إذن أقصى سرعة ممكنة يستطيع جسدي احتمالها.

على الفور يبدأ درع راعي في التسارع إلى أن يصل إلى طرف بوابة النسيج ليعطي الأمر بإطلاق قاذفة اللهب على المخالب التي تحاول دخول الأرض، ولكن عوضًا عن النيران؛ دفقة من أشعة حرارية مركزة تنطلق ليجفل راعي للحظة تكفي لأن يلتقطه طرف مخلب من مخالب العنكبوت، جاذبة إياه لداخل النسيج.

تلك المرة يجد راعي نفسه محاصرًا على خيوط النسيج، والعنكبوت فوقه تمامًا.

يشعر راعي أنه ذبابة في آخر لحظات حياتها.

من بوابة النسيج التي كادت أن تُغلق يفلت صاروخ موجه قادمًا من أجل راعي.

يصرخ راعي في «تالي»: «تـــالـــــي»! أحتاج لأن نضع كل الطاقة في الدرع الآن.

تبدأ المؤشرات بالإشارة إلى تقوية الدرع، ولكن قبل أن

تصل إلى ٦٠٪ ينفجر الصاروخ دافعًا براعي بعيدًا عن شبكة النسيج.

مرة أخرى تلتقي رمال النسيج المرمل بوجهه ليشعر بالهواء كله يخرج من صدره قبل أن يتمكن حتى من الوقوف؛ يشعر بقذيفتين من الرمال تضربان ظهره لتدفعانه عبر الرمال مرة أخرى. يستدير راعي لمواجهة العنكبوت، والبحث عن نقطة آمنة من النسيج تعيده لعالمه، ليفاجأ بأن كل شبكات النسيج من حوله قد امتلأت بعناكب رملية متفاوتة الأحجام، وعلى مرمى البصر امتلأت أيضًا الرمال بتلك العناكب.

تبدو كجيش يستعد للحرب.

- لقد تأخرنا، إنهم يستعدون الآن لدخول عالمنا، وقد أعطاهم البشر سبع نقاط في سبعة قطاعات مختلفة في أنحاء الفضاء ليدخلوا منها إلى عالمنا.

كانت هناك مئات الشبكات من النسيج حوله، ولكن العناكب تتجه إلى سبع نقاط محددة.

- ضاع كل شيء إذن.. سيتدفقون إلى عالمنا وينتهي كل شيء. لقد خسرنا يا «تالي».. لقد حاولت أن أكون بطلًا للنهاية.. ولكن خيانتنا.. خيانة جنسنا فتحت لهم سبع نقاط سيلتهمون منها عالمنا بأكمله.

يرى راعي ثلاثة عناكب عملاقة تتقدم نحوه، ويشعر حينها

أنه قد فقد القدرة على القتال.

- لقد انتهى كل شيء بالفعل، فما الفائدة!

ليأتي صوت «تالي» متفائلًا: ألم يفتح البشر ثماني نقاط؟

يستغرب راعي السؤال لكنه يجيبها وعيناه على العناكب الثلاثة التي تقترب: لا، سبع نقاط.. سبعة قطاعات، ربطنا بهم سبع بوابات من النسيج.

لترد «تالي» قائلة: وماذا عن بوابة الأرض؟ البوابة التي جئنا منها للتو؟

يعقد راعي حاجبيه ناظرًا إلى البوابات: لحظة.. ما معنى ذلك؟ أهناك بوابة لا يستخدمونها؟ يجب عليهم استخدام كل بوابة ممكنة ليستطيعوا إدخال هذا الجيش...

ثم يأتي الفهم...

- إنهم يتجنبون بوابة القطاع السابع.. يتجنبون البوابة التي ينتظرهم خلفها الهرميون، ليسوا مستعدين لهم.. «تالي» ساعديني في تحديد شبكة نسيج القطاع السابع.

على الفور يظهر وميض لنسيج خالٍ من العناكب، تتجاهله تشكيلات العناكب المتجهة إلى القطاعات المختلفة.

- «تالي» نحتاج إلى الوصول إلى تلك البوابة بأي شكل.

ينطلق راعي وقد وضعت «تالي» المحركات النفاثة على

سرعتها القصوى وعدلت المدفعين ليصير كلاهما مدافع حرارية تمسك الطريق أمامهم بدفقات حارقة لا تحرق فقط أجزاء من العناكب بل الرمال التي يمشون عليها أيضًا.

يقترب من البوابة الخالية من أي تزاحم ليحط راعي على الشبكة مستعدًّا للدخول.. حينها يراهم؛ عناكب صغيرة.. صغيرة مقارنة بالعمالقة التي كان يحاربها من قبل...

- «تالي» احرقيهم...

- لقد نفدت طاقة الأسلحة، ولا يمكنني سحب أي طاقة من هنا، فأنا لا أستشعر وجود أي نجم.

يمد راعي يده مكونًا السيف ويتقدم تجاه البوابة، موجهًا ضربة للعنكبوتين اللذين يتقدمان نحوه. كان حجم كل منهما في حجم كلب كبير.

يتفادى العنكبوت الأول ضربة راعي بسهولة، ويأتي الآخر ليقفز على رأس راعي عازلًا عنه الرؤية.

لم يقدر راعي سرعة تلك العناكب الصغيرة، تحاول «تالي» تشغيل أجهزة المسح الحراري لإعطاء راعي أي صورة ولكن دون فائدة؛ فالماسحات الحرارية لا تعمل في هذا العالم.

يحاول راعي نزع العنكبوت من على رأسه متخبطًا؛ ولكنه يجد أن الآخر قد استغل الفرصة وهاجمه موجهًا

الضربات لقدمه حتى اختل توازنه، وسقط على خيوط الشبكة.

يستبدل راعي المدفع الأيسر بمدفع الذخيرة ويطلق في عشوائية كل ما تبقى من ذخيرة دون فائدة.

- «تالي».. ما الذي يحدث الآن.

- آسفة يا راعي، كل ماسحاتي غير قادرة على العمل.

يشعر راعي بحركة غير طبيعية لتجلو الرؤية قليلًا ويرى أن دوامة من الرمال تظهر في جسد العنكبوت المتمسك برأسه محاولًا ابتلاعه.

- «تالي» أعتقد أنهم يحاولون التهامنا.

- أوافقك الرأي. يذكرني ذلك بما حدث لك في أول لقاء.

تطرق فكرة على رأس راعي: «تالي» ألم يكن بإمكانك أن تدمجي المكونات بداخلك كما يفعل...

كاد أن يقول بني جنسك لكنه قال: الفضائيون الذين كانوا على سفينة الأجيال؟

- ولكن هذا سيتركك دون درع.

- في فضائنا العادي أعتقد أني أستطيع أن أحيا لخمس عشرة ثانية. سأعطيك عشر ثوانٍ هنا.

- راعي، لا أعتقد أنه يمكننا المخاطرة.

- لا نملك خيارًا يا تالي.. الآن.

تتحول «تالي» على الفور لهيئتها السائلة، وما إن تتخلى عن جسده لتحتوي جسدي العنكبوتين حتى يبدأ راعي في الشعور بتأثير الفضاء على جسده.

الهواء والسوائل تهرب من جسد راعي ويشعر بالبرودة تتسلل إلى خلاياه.

خمس ثوانٍ...

يغلق فمه وأنفه بقوة محاولًا منع ما تبقى من هواء من الخروج، ولكن لا يتمكن من ذلك.

ثماني ثوان...

لا يعتقد راعي أنه سيتمكن من أن يحيا أكثر من نهاية تلك الفكرة.

إحدى عشرة ثانية...

ثلاث عشرة ثانية...

أربع عشرة ثانية...

ظلام...

***

الخاتمة

Pick Your Villain

تصعد «سيڤا» على المنصة وعلى يسارها «ميتشوم» هامسًا ببعض الكلمات. يشير إليها أحدهم فتبدأ في الحديث: اليوم آتي إليكم كأصغر رئيسة تنفيذية في تاريخ الكوكب، وفي حدث استثنائي، أخطب إليكم وأنا أمامكم حقًّا، لست في مخبأ ولا غرفة معزولة، باعثة هولوجرام يتحدث نيابة عني، أتحدث معكم يا أهل الأرض وليس مع المستثمرين ومجلس الإدارة لنقرر مصيرنا معًا. قرار تعيني جاء بعد إخفاقات متكررة من الرئيس التنفيذي السابق، وصلت بنا إلى هذه النقطة. نحن وحدنا في مواجهة الكون بأجمعه بلا أدنى قطرة من المبالغة، الكون يريد التخلص من البشر. الكون وأجناسه يعتبروننا خطرًا يجب الخلاص منه... ويقف إلى جانبهم الروافد الخونة، الذين لا يمكن أن ندعوهم بشرًا بعد الآن. ويؤلمني أن بطلًا من أبطالنا قد غُسل دماغه لينضم إليهم هاربًا لأسياده الجديدين، الذين جاء محملًا برسالة منهم، بأن نخضع ونموت في صمت، أو يأتوا من أجلنا. اليوم أخبرهم أن يأتوا.. لن نكون لقمة سائغة، لن نكون مجرد نملة تدهس بالأقدام من أجل أهداف أعظم، لن تنتهي حضارة الأرض والأرضيين سنقاتل وإن لم يدعمنا أحد في هذا الكون فسنأتي بعون من أكوان أخرى.

تتسع بوابة النسيج الرملي المفتوحة في السماء، وتتضخم وتتضخم.. وتبدأ في الخروج منها أولًا تشكيلات مقاتلات أرضية قادمة من القطاعات المختلفة لتنطلق الجماهير في الصياح والتهليل، بينما يعلو صوت «سيڤا» قائلة: كل الأرضيين من كل القطاعات قد عادوا لحماية وطنهم، لحماية أرضهم.. فمن نكون دون الأرض ومن عليها؟!

فجأة يظهر أول العناكب ليبدأ أحدهم في الصراخ، ليأتي صوت «سيڤا» حازمًا والمكبرات تعلو، والبث معروض في كل مكان: لا تفزعوا، أولئك حلفاؤنا، أولئك من آمنوا بنا، يأتون اليوم للذود عنا، رحبوا بأسياد النسيج، ضيوفًا علينا، وحلفاء سيضعوننا على قمة هذا الكون...

***

- راعي.. راعي... بالنسبة لشخص يكره الأحلام فأنت شخص ينام كثيرًا.

يفتح راعي عينيه ليجد نفسه على شبكة النسيج.

- «تالي».. أين العناكب؟

- آه العناكب في كل مكان، هناك وفرة منهم، ولكن إن كنت تسأل عن الاثنين اللذين حاولا قتلك فهم مجرد كتلتين من المعلومات، لا يمكنك تصديق ما استطعت أن أجده في تكوينهم من معلومات.

- أعدك أنني سأستمع إلى شرح تفصيلي منك فيما بعد، والآن دعينا نخرج من هنا.

يهرول راعي تجاه البوابة، داعيًا ألا يواجه أي مفاجآت أخرى.

يقفز داخل البوابة وتمر ثوانٍ قبل أن تلفظه البوابة إلى الجانب الآخر.

يتنفس الصعداء.

ينظر راعي من حوله ليجد أنه على بعد كيلومترات من محطة التحالف، وأن هناك أسطولًا من الروافد، وآثار معركتهم الأخيرة مع أسطول «تيامات».

ولكن على بعد عدة كيلومترات في الجانب الآخر كان هناك الهرميون، وسفينة الأجيال تقف وسط تشكيلهم، ولكن ازداد عدد السفن بشكل كبير. لا بد أن الإمدادات قد وصلت.

- والآن ماذا؟

يقولها راعي بصوتٍ عالٍ لترد «تالي»: الآن تُقرر.. إن كان ولاؤنا للبشر وهذا الكون، أم للأرضيين.

- أعتقد أننا تجاوزنا هذا السؤال يا «تالي».

- لا، الاختيار دائمًا ممكن في كل لحظة.

- ألا تملكين رأيًا؟

- يومًا ما سيكون لي رأي، اليوم.. بقرارك الآن.. لن أصير مجرد وعاء خاوٍ، بقرارك ستقرر إن كنت سأصير ملاكًا أو شيطانًا.

- وأي الاختيارات تجعلك ملاكًا؟

- ذلك أيضًا قرارك أنت.

يتنهد راعي ويغمض عينيه قبل أن يسأل «تالي»: كيف نستطيع أن نعطي للهرميين إشارة أننا نريد التواصل معهم لنعطيهم معطيات موقع الأرض؟

- لدي فكرة... تحديث جديد من أسياد النسيج.

تقولها ثم تطلب من راعي توجيه كلتا يديه إلى نقطة في الفراغ تجاه سفينة الأجيال، وحين يفعل هذا تظهر دائرة تتسع وتتسع وتتسع صانعة بوابة للنسيج المرمل.

ويأتي صوت «تالي» قائلًا: تقع تلك البوابة خلف حشود قوات أسياد النسيج بالضبط، أعتقد أن هذا سيعطي الهرميين بعض الأفضلية.

وبالفعل تبدأ سفن الهرميين في التحرك على الفور وأسلحتهم التي لم يرَ راعي شبيهًا لها تبدأ في الانطلاق.

بعد عدة ساعات من مشاهدة المشهد المهيب تسأل «تالي»: أنا أشعر بالملل، ألا تود الانضمام للمعركة؟

يقول راعي: لا.. فهناك حديث مؤجل أحتاج لإجرائه مع ما تبقى من البشر، ثم يلتفت واضعًا أسطول الروافد كواجهة له مرسلًا بثًّا على جميع الموجات أنه قادم في سلام من أجل مستقبل البشر.

تمت

الشكر المعتاد

لضحى ومهدي وعصمت ونضيف لهم هذا العام العزيزة دينا هيكل

أحاول ان اكون مختصرًا لأني مشغول للغاية بكتابة زراد ٢

أعمال الكاتب السابقة:

ظل بابليون

زراد: مملكة الملاعين

مانيكان

شرق جهنم